الدكتور عزيز السيد أحمد

بشرية عمياء عوجاء

مقالات سياسية

دار الفكر الفلسفي

عزت السيد أحمد

الدكتور عزت السيد أحمد

عميد بشرية عوجاء

بسم الله الرحمن الرحيم

عزت السيد أحمد

الدكتور عزت السيد أحمد

بشرية عمياء عوجاء

دار الفكر الفلسفي

دمشق 2009م

دار الفكر الفلسفي

☆ الكتاب : **بشرية عمياء عوجاء.**
مقالات سياسية.

☆ المؤلف : **الدكتور عزت السيد أحمد** .

☆ عدد الصفحات: ١٤٨ صفحة.
☆ قياس الصفحة: ب ٥ = ١٧ X ٢٤.
☆ تصميم الغلاف بريشة المؤلف.
☆ الطبعة الأولى: **٢٠٠٩م.**
☆ تمت عمليات التنضيد والإخراج في دار الفكر الفلسفي للدراسات والترجمة والنشر بدمشق.
☆ تمت الطباعة في دار الرفاعي بدمشق ومنها يطلب الكتاب على رقم الهاتف أو الفاكس التالي: ٠١١٢٢٢٥٩٥٩

☆ **الحقوق جميعها محفوظة.**

تمنع طباعة هذا الكتاب أو بعضَه بأيِّ وسيلةٍ من وسائل الطِّباعةِ والنَّشر والإعلام من دون موافقةٍ خطيَّة من النَّاشر أو المؤلِّف.

☆ النَّاشر: **دار الفكر الفلسفي.**

الإهداء

لا أعرف
إلى من أخط إهدائي
وعلى الأرض مسفوحة دمائي
إلى أمتي التي بيدها تذبحني
أم إلى البشرية العمياء

مُقَدِّمَة

في خطوةٍ مفاجئةٍ لم تكن خارج التَّوقعات أقدمت قوَّات الكيان الصهيوني صباح السبت ٢٧ كانون الأول ٢٠٠٨م على ارتكاب مجزرةٍ بقطاع غزة راح ضحيتها نحو ١٦٠ شهيداً وأكثر من مئتي جريح. واستمرت المجزرة اثنين وعشرين يوماً متواصلاً من القصف والاجتياح. انتهت يوم الأحد ٢٠٠٩/١/١٨م.

في هٰذه الأسابيع الثلاث انكشف أوراق الأمَّة العربيَّة والمجتمع الدولي انكشافاً فاضحاً، وتعرَّت الأنظمة العربية تعرياً مرعباً أمام هٰذه المجزرة. سقط القناع عن القناع. سقط الحكام العرب في وحل الخزي والعار. سقطوا أكثر مما كانوا ساقطين فيما قد سلف من الأيام الخوالي. سقطوا سقوطاً ظنَّنا أنَّهُ لن يكون أكثر منه سقوط، وأنَّ الشُّعوب العربيَّة ستهبُّ على هؤلاء الحكام.

مقالات هٰذا الكتاب هي أشبه ما تكون بيوميات تتبَّعت العدوان الوحشي على غزة وتآمر المجتمع الدولي والأنظمة العربيَّة على فلسطين. باستثناء مقالٍ واحدٍ هو الواقعية واللاواقعية الذي كُتِبَ قبل المجزرة بنحو سنتين.

كان استقلال حماس بالسلطة في قطاع غزة هو السَّبب الرئيس في العدوان، على الرَّغْمِ من أنَّ ثَمَّة من قال بأنَّ الضَّربة التي تلقتها إسرائيل من حزب الله في تموز ٢٠٠٦م استدعت من إسرائيل إعادة الاعتبار. لا نعترض على ذٰلكَ كثيراً، ولٰكنَّنا نرى أنَّ حماس هي السَّبب. حماس أقلقت إسرائيل، أقلقت الأنظمة العربيَّة، أقلقت السُّلطة الفلسطينية المرتمية في أحضان إسرائيل... ولذٰلك أراد الجميع القضاء على حماس والتَّخلص منها. وسينكشف لنا ذٰلكَ في سياق مقالات هٰذا الكتاب.

طيلة المجزرة ونحن نفاجئ كلَّ يومٍ بهٰذا المفكر وذاك من فطاحل الفكر العربي وفحول والصِّحافة والإعلام العرب، يبدأ تحليله بقوله: «أنا ضدَّ حماس ولكنَّ نحن في ظرفٍ لا يحتمل النَّقد...». وكذٰلكَ قول بعضٍ آخر بالمعنى ذاته: «أنا لست مع حماس ولكنَّنا أمام ظرفٍ لا يحتمل عرض الانتقادات...».

ما الذي فعلته حماس بالإطلاق مما يوجب عليكم هٰذا الإنكار والرفض لها؟

ولماذا يقف هؤلاء ضدَّ حماس: هل لأنها مقاومة أم لأنَّهَا متدينة أم لأنَّهَا مقاومةٌ متدينة؟

ما قتلنا إلا هؤلاء الرَّماديون الذين إذا جَنَحَ السواد اسودوا معه وإذا غلب البياض ابيضوا معه. إنهم نقطة ضعف الأمة الأساسية لأنَّهَم بجبنهم يرجحون كفة الفجور والسلاطين وهم يظنون أنهم يقدمون رؤيةً حياديةً. هٰذا إذا أحسنا الظَّن فيهم. هل يفعل ذٰلكَ أعداؤنا؟

جورج بوش الصغير، ومثله كلُّ القادة الأمريكان، قال بوضوح يوم الاثنين ٢٠٠٥/٤/١١م «من غير الواقعي توقع عودة إسرائيل إلى حدود ١٩٤٩م».

قالها ولم يخجل من نفسه وهو فيما يركع له حكَّام فلسطين والعرب راعي السلام الفلسطيني الإسرائيلي. فلماذا نخجل من الوقوف مع حقنا؟ لماذا نحارب من يحارب من أجل حقِّنا؟

إنَّ الشَّعب الذي لا يقاوم المحتل شعبٌ بلا شرفٍ ولا كرامةٍ، و الأمَّة التي لا تحارب المحتل أمةٌ لا قيمة لها، ولا تستحقُّ أن تعيش...

وقعت المجزرة واستمرت نحو الشَّهر والعالم يتابع بصمت وربَّما بإعجابٍ وتقديرٍ، الإعلام الغربي يتحدَّث عن حقِّ الصَّهاينة في الدِّفاع عن أنفسهم. لقد طالب الفرنسيون والأمريكان بإدانة صواريخ القسَّام التي يعترف الكيان الصهيوني ذاته أنَّهَا بدائيَّة لا تفعل شيئاً، وهي منذ بدء إطلاقها لم تقتل شخصاً واحداً، اللهم إلا في الرَّد المكثَّف على المجزرة أدت هٰذه الصَّواريخ إلى قتل مغتصبٍ صهيونيٍّ. ومع ذٰلكَ سارعت سلطة **محمود عباس** إلى إدانة صواريخ القسَّام، ولم تدن المجزرة فماذا ننتظر من الغرب عامَّة وهو أصلاً لا يرى المجازر الصهيونيَّة ويرى الحجر الذي يطلقه الفلسطيني صاروخاً.

قد يكون من الممكن، بعد إغماض العينين، ووضع غطاء سميكٍ على العقل، أن نقول إنَّ الغرب عدوٌّ تاريخيٌّ للشَّرق، وله أيديولوجيَّته الخاصَّة في فهم المنطقة وما فيها من أحداث ووقائع. ولذٰلك يمكن تفهم الموقف الغربي مع ما فيه من جرح بالغ للضَّمير والعقل والمنطق. ولٰكن كيف يمكن أن نفهم الاصطفاف العربي المخزي وراء الكيان الصهيوني وعدم القيام بما يردع الكيان الصهيوني عن مجازره المتلاحقة ضدَّ الفلسطينيين خاصَّة والعرب عامَّة؟!

لن نفصل في هٰذه المقدمة ولٰكنَّ نلقي الضَّوء على بعض المفاصل، نحن بعد أن رأينا ما رأينا من الأنظمة العربية بات من الخطأ أن نلوم المجتمع الدولي ومؤسِّساته التي يفترض أنَّها أنشئت للفصل العادل بَيْنَ الدول والأمم في نزاعاتها. فمجلس الأمن مثلاً الذي انعقد على استحياءٍ بعد إلحاح ليبيٍّ قطع الجلسة التشاوريَّة أكثر من مرَّة، وفي كلِّ جولةٍ كان سقف ما سيصدر عن مجلس الأمن ينخفض أكثر، حَتَّى ظننا أنَّ مجلس الأمن سيدين أهل غزَّة ويصدر قراراً تحت البند السابع يجيز استخدام القوَّة للقضاء على أهل غزة لأنَّهم يهدِّدون أمن إسرائيل ويشكِّلون عالة على الإنسانيَّة!!

ولماذا نعتب على المجتمع الدولي؟ لقد دمَّر العدوان الصهيوني مدارس وجامعات ومساجد ومخازن أدوية ومبان حكوميَّة، ودمَّر من المنازل الأهلية ما لا يحصى، وأطبق الحصار على أهل غزة فمنع وصول الإغاثة من أيِّ نوعٍ من الأنواع. ومع ذٰلكَ لم يستطع القادة العرب أن يجتمعوا ولو فقط لإدانة العدوان. مصر ترفض بوضوحٍ، السُّعودية ترفض بوضوحٍ، معظم القادة العرب إمَّا يوافقون على القمة ويعترضون على المكان أو يوافقون على المكان ويعترضون على القمة...

غرائب وعجاب تسود أمتنا. لا نعرف من أين نبدأ ولا أين ننتهي. المظاهرات تملأ الشوارع، والحكام صامتون. وعلت المطالبة بمقاطعة بضائع الدول التي تدعم الكيان الصهيوني، فَعَلَتْ حناجرُ علماء السَّلاطين تحرِّم مقاطعة هٰذه البضائع. وفيما المجزرة مستمرَّة والصَّمت مستمرٌّ، يعلو صوتٌ واحدٌ تقريباً من العالم الغربي يعلن بصافقةٍ واضحةٍ: لا تخافوا فالتوابيت كافيةٌ لاستيعاب جثثكم إذا متم... والأدوية جاهزةٌ لعلاجكم... فقد اقبلوا الموت وارضخوا للقصف.

وعندما أعلن الكيان الصهيوني أنَّهُ يمكن أو يوشك أن يقرِّر إيقاف إطلاق النَّار من طرف واحد خرج علينا **حسني** زعيم أكبر دولةٍ عربيَّةٍ إمكاناتٍ وأسوأها فعلاً ليستثمر مشروع القرار الصهيوني ويجعل من نفسه بطلاً تاريخيًّا باستغباء ملايين البشر الذي هاجموا السَّفارات المصريَّة ولم يهاجموا السَّفارات الإسرائيليَّة احتجاجاً على سلوكه الخياني الكبير.

ما إن سمع **حسني مبارك** بمشروع القرار هٰذا حَتَّى استنفر جيشه من المستشارين ليدبجوا له خطاباً يحوله إلى بطلٍ في نظر الجماهير العربيَّة والإسلاميَّة فخرج الخطاب كبقع الزيت؛ كل بقعةٍ بلونٍ وكل بقعةٍ بأسلوب وكل بقعةٍ تحاول نسف حقيقةٍ من الحقائق التي فضحت سلوك النِّظام المصري، ولٰكنَّهَا تصدم بكلِّ حقيقةٍ من هٰذه الحقائق صدماً يصدع الرأس.

ولنكتشف في سياق ذٰلكَ كلِّهِ أنَّ مصر أكبر شريكٍ لإسرائيل في هٰذا العدوان، شريكٍ في التَّصريح بالعدوان، شريكٍ في إمداد الجيش الصهيوني باحتياجاته الغذائيَّة، شريكٍ بمنع دخول أيِّ إغاثةٍ إلى غزة... وليست مصر وحدها الشَّريك في هٰذا العدوان، لقد كشفت التقارير عن وجود أكثر من دولةٍ عربيةٍ في هٰذه الشراكة الاستراتيجيَّة مع إسرائيل في عدوانها على غزة من أجل القضاء على حماس والتَّخلص منها.

هل يمكن أن تتخيلوا أن هٰذه المجزرة الإسرائيليَّة كانت بموافقةٍ عربيَّةٍ، ومباركةٍ عربيَّةٍ، وترتيبٍ عربيٍّ... وبإمكانكم أن تضيفوا ما شئتم من هٰذا القبيل من العبارات والأحكام؟!

إنَّ السُّؤال للأسف لا طعم له ولا معنى، لأنَّنا لم نعد نصدق أن يتم ذٰلكَ من دون الدَّعم العربي. لقد وصلنا إلى حالةٍ من الثِّقة العمياء في أنَّ حكَّام العرب

شركاء إسرائيل في احتلال فلسطين وحماية الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين يصعب تكذيبها. ولذلك فإنَّ أيَّ كلامٍ عكس ذلكَ لم يعد ليقنعنا بحالٍ من الأحوال، وسنستغرب بالتأكيد أن نجد حاكماً عربيًّا يقف مع فلسطين والفلسطينين بصدق وإخلاص.

الأدهى من ذلكَ كلِّهِ أن يكون رئيس السلطة الفلسطينية أكبر رعاة هذا العدوان، وأشدَّ الداعين إليه. شيءٌ من الصَّعب القول إنَّهُ مثل الكذب، لأنَّ الكذب غدا أمامه صفاءً ونقاءً... شيءٌ غدا الكذب أمامه مستملحاً مقبولاً!!!

لن نطيل في التَّقديم، فالمقالات فيها التَّفاصيل التي نرجوها كافيةً، لأننا على ثقةٍ في أنَّ والحقيقة أشدُّ ألماً والواقع مليئ أكثر من ذلكَ بما يصدم ويستفزُّ، ولكنَّنا تتبعناً، وعلى قدر ما استطعنا كشفنا عن هذه الحقائق التي وصلنا إليها ورأيناها. ولا شكَّ عندي في أنَّ قادم الأيام سيكشف من المفاجآت الصادمة أكثر من ذلكَ بكثيرٍ جدًّا، ورُبَّما نرى بأعيننا ما لا يمكننا تصديقه... سنرى ولا نصدق.

قد يسألني بعض أنَّى لك هذه الثِّقة؟

أقول بثقةٍ، إنَّ ما انكشف من حقائق انكشف بالغصب والمصادفة، وهذا يعني أنَّ ما خفي أعظم. هذا منطقيًّا، منطقيًّا على الأقل ولا أتابع فيما وراء ذلكَ.

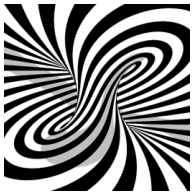

الفصل الأول

أنا ضد حماس ولكن !!

أنا أعرف وأعترف أنَّ هناك يمين ويسار، وأتفهم أنَّ اليسار لا يحب اليمين ولا يعترف به، وأنَّ العكس أيضاً قائمٌ، ولدينا من الأمثلة على ذَلكَ ما يسدُّ عين الشَّمس.

هٰذه حقيقةٌ لا يمكن نكرانها ولا جحودها ولا إلغاءها. ولكنَّها حقيقةٌ يمكن قبولها في كلِّ شيءٍ مهما كان إلا فيما يتجاوز المنطق وقوانين التَّفكير. عندما يتجاوز المرء في فهمه وقبوله ورفضه... قوانين الفكر فإنَّهُ لا يعدو أن يشبه القرد

الذي يثب فوق الأغصان ظانًّا أنَّهُ يثبت فوق التَّاريخ والزَّمان... بل لا يزيد عن أن يكون ذَلكَ الأحمق الذي يعيد عقرب السَّاعة ساعةً إلى الوراء ويظن أنَّ الزَّمان قد عاد فعلاً ساعةً إلى الوراء، ويظنُّ أنَّهُ إذا أدار عقرب السَّاعات بضع دوراتٍ إلى الوراء فإنَّهُ أعاد الزَّمان بضع أيام إلى الوراء.

تجاوزاً وتيسيراً يمكن نقول إنَّ ما قبل مجزرة غزَّة شيءٌ وفي أثنائها شيءٌ آخر. على الرَّغْمِ من أنَّ الحق حقٌّ قبل البيرينيه وبعدها، وقوانين الفكر هي ذاتها فوق الأرض وتحتها وعلى يمين الأرض وعلى يسارها.

منذ باشر الكيان الصهيوني مجزرته في حقِّ أهلنا في غزَّة يوم السبت ٢٧ كانون الأول ٢٠٠٨م وحَتَّى توقف المجزرة بعد تمام ثلاثة أسابيع، بعدما حصدت أرواح أكثر من ١٣٠٠ شهيدٍ، وكان من ضحاياها نحو سبعة آلاف جريح، ناهيك عن الزرع والحرث والأرض والمساكن والمدارس...

طيلة المجزرة ونحن نفاجئ كلَّ يومٍ بهذا المفكِّر وذاك من فطاحل الفكر العربي وفحول والصِّحافة والإعلام العرب، يبدأ تحليله بقوله: «أنا ضدَّ حماس ولكنَّ نحن في ظرف لا يحتمل النَّقد...». وكذَلكَ قول بعضٍ آخر بالمعنى ذاته: «أنا لست مع حماس ولكنَّنا أمام ظرفٍ لا يحتمل عرض الانتقادات...».

أنا أريد أن أسأل هنا أمثال هؤلاء الفحول:

. لماذا أنتم ضد حماس؟

. لماذا أنتم لستم مع حماس؟

ـ ما الفعل المشين أو السَّفيه أو الرَّذيل أو الصَّفيق الذي فعلته حماس حَتَّى تقفوا ضدها؟

بل دعونا نسأل:

ـ ما الذي فعلته حماس بالإطلاق مما يوجب عليكم لهذا التبرؤ منها، والإنكار والرفض لها؟

إذا نظرنا في تاريخ حماس منذ نشأتها وحَتَّى السَّاعة، ولا نغضُّ النَّظر عن شيءٍ حَتَّى لا نترك ذريعة لأحدٍ بزعم ما يريد، وجدنا أنَّهَا حركة مقاومة قبل أيِّ شيءٍ، ولكنَّها حركة ذات بعد ديني إسلامي. وحركة المقاومة الإسلاميَّة حماس ليست على التَّطرف في شيءٍ إلا إذا عُدَّ التَّدين ذاته تطرفاً وهٰذا ما سيدخلنا في متيهٍ لا حدود له من النقاش والجدل.

فلماذا يقف هؤلاء ضدَّ حماس: هل لأنها مقاومة أم لأنها متدينة أم لأنها مقاومة متدينة؟

رُبَّما يوجد سببٌ أو أسبابٌ أخرى لا أعرفها. ولٰكن لأنَّهُ لا يوجد إلا هٰذه الأسباب فإني أناقش الأمر في فضائها.

أعود إلى مطلع المقال لأقول أنا أفهم وأتقبل أن لا يؤمن (اليساري) أو الإلحاديُّ بعقيدة حماس الدينيَّة أو تدينها. ولٰكنَّ حماس ليست حركة دينية وإنما هي حركة مقاومة صبغتها العقيدية هي التدين، ولا تختلف في ذٰلكَ عن حركات المقاومة الفلسطينية أو غيرها التي تدين باليسارية أو الإلحاديَّة عقيدةً لها... وهٰذه مسألة قد يكون فيها نقاش. ولٰكن ما لا نقاش فيها أنَّ حركة المقاومة الإسلاميَّة حماس قدَّمت نفسها حركة مقاومة مارست المقاومة والنضال ضدَّ الكيان الصهيوني الذي يحتل فلسطين ورفضت الاعتراف به. ومن ثَمَّ فإنَّ من يرفض حماس لأنها حركة مقاومة للكيان الصهيوني فإنَّهُ خائنٌ ولا شكَّ في ذٰلكَ، لأنَّ العربي الذي لا يؤمن بمقاومة أيِّ احتلال للأرض العربيَّة، مهما كانت ذرائعه، يعني أنَّهُ يقبل الاحتلال، من يقبل الاحتلال خائن لوطنه.

ينسحب هٰذا الحكم على أيِّ رفضٍ لحماس بوصفها حركة مقاومة أو حركة مقاومة إسلاميَّة. أمَّا رفضها لأنها متدينة فأمر فيه نظر.

نقطة الانطلاق في هٰذا النَّظر هي أنَّ حماس طيلة ما مضى من تاريخها لم تقدِّم نفسها بوصفها حزباً دينيًّا أو حركة دينيَّة، وإنما قدَّمت وتقدم نفسها بوصفها حركة مقاومة للاحتلال الصهيوني، وهي لم تفاوض ولا تفاوض إلا بوصفها حركة مقاومة، حَتَّى الانتخابات التي خاضتها خاضتها بوصفها حركة مقاومة وليس بوصفها حركة دينيَّة. ومن ثمَّ فإنَّ رفض حماس حَتَّى مع تدينها لا يعني إلا رفض مقاومتها، ومع ذَلكَ سنتجاوز الأمر إلى ما بعده ونسأل هل يجوز أن نرفض حماس لأنها حركة دينيَّة؟

إنَّ رفض حماس لأنها حركة دينية أو الوقوف ضدها يعني أساساً وصراحةً عدم الاعتراف بالآخر. فلماذا يُطلب من حماس الاعتراف بالآخر فيما الذي يطلب منها الاعتراف بالآخر يحرمها حقَّ الوجود؟! ويمكن أن نسحب الحكم على أيِّ يمينٍ ويسارٍ بالإطلاق.

أنا أخاطب العرب تحديداً، وأخص منهم من لا يحاورون الكيان الصهيوني، وأسألهم ثانية: لماذا إذن نرفض حماس ولماذا نقف ضدها؟ لماذا يحقُّ لنا نحن اليساريين أن نوجد وأن نعبِّر عن رأينا وموقفنا وعقيدتنا، ولا يحقُّ لحماس أن توجد وأن تعبِّر عن رأيها وعقيدتها وموقفها؟

ومن جهةٍ أخرى: ألا يعني قبولنا حماس بوصفها مقاومة ورفضنا لها عقيدة أنَّنا نطلب منها أن تضحي وتعمل وتحقِّق النَّصر لنأتي ونشاركها النصر أو نسلبها إياه بعد أن بذلت هي الأرواح وبذلنا نحن الصياح حَتَّى النُّباح؟

ألا يعني ذَلكَ انتهازيَّة يصعب وصف صفاقتها؟!

أعود من جديدٍ لتأكيد أنَّ الكلام موجه لمن لا يحاورون الكيان الصهيوني ولا يعترفون به من العرب. أمَّا الصهاينة ومن يعترف بهم من شركائهم وأصدقاءهم فإنَّنا لا نعتب عليهم لأنهم أعداء والعدو لا يرى في العدو إلا عدواً مهما كانت عقيدته وطبيعته.

ولٰكن لا بُدَّ هنا من التَّوجُّه إلى الغرب الذي نفترض منطقيًّا على الأقل أنَّهُ شبه حياديٍّ على الرَّغْمِ من عدم حياديته فعليًّا، ونسأل هٰذا الغرب: بأيِّ قدرةٍ ساحرةٍ خارقةٍ أمكنكم الجزم بأنَّ التَّدين الإسلاميَّ إرهابٌ، والمقاومة الإسلاميَّة إرهابٌ وتطرف وأصوليَّة على الرَّغْمِ من أنَّهُم يقاومون ضدَّ الاحتلال باعترافكم أنتم؟

وفي الوقت ذاته أسأل: أيُّ عمًى ضربَ على عيونكم حَتَّى تعجزون عن رؤية الجنود الصهاينة الذين يرتكبون المجازر وهم يؤدُّون صلواتهم قبل إسالة أنهر الدِّماء من الأبرياء، ويتابعون صلواتهم وتراتيلهم فوق رؤوس الضحايا؟

لماذا العرب المسلمون وحدهم، ورُبَّما يدرج معهم العرب المسيحيون... الذين يدافعون عن أنفسهم ضدَّ الاحتلال إرهابيون، فيما الصَّهاينة الذي يرتكبون المجازر بدوافع عقيدتهم بإقرارهم يعاملون معاملة الأبرياء والضحايا؟؟!

الفصل الثاني

الواقعية واللاواقعية

في لقائه اليوم في مزرعته الخاصة بتكساس مع **شارون** رئيس وزراء الكيان الصهيوني يوم الاثنين ٢٠٠٥/٤/١١م أعلن الرَّئيس الأمريكي **جورج بوش الابن** «أَنَّهُ من غير الواقعيِّ توقع عودة إسرائيل إلى حدود ١٩٤٩م». ورُبَّما لذلك، أي لضمان القبول بهذه الواقعيَّة الَّتي تُمَكِّن الكيان الصهيوني من عدم الانسحاب إلى حدود ١٩٤٨م، اضطر في الإعلان ذاته إلى مطالبه الفلسطينيين بتفكيك ما أسماها المجموعات المسلَّحة التي تستهدف إسرائيل. ويقصد بذلكَ من تسمِّيهم الولايات المتحدة ذاتها و**جورج بوش الابن** ذاته بالإرهابيين، وصنفتهم الولايات المتحدة بالمنظمات الإرهابيَّة، وتفرض على دول العالم جميعها أن تصفهم بالإرهابيين.

صحيحٌ أنَّ المشكلة كبيرةٌ في هٰذه المطالبة بالواقعيَّة اللاواقعيَّة من قبل **بوش الابن** ولكنَّ المشكلة الأكبر والأعظم تكمن في أنَّها ليست المرَّة الأولى التي يعلن فيها الأمريكيون عدم اقتناعهم بإمكانيَّة انسحاب إسرائيل من الأراضي التي احتلتها بعد عام ١٩٤٨م. ناهيك عن أنَّ **شارون** تحديداً وغيره من المسؤولين الصَّهاينة أيضاً قد أعلنوا ذَلكَ غير مرَّةٍ، بل مرَّات كثيرةٍ جدًّا بصراحةٍ ووضوحٍ تامين لا يقبلان أي لَبْسٍ أَو شكٍّ، ومارسوا ويمارسون على أرض الواقع ما يؤكِّد عدم نيتهم الانسحاب من الأراضي التي احتلوها في عام ١٩٦٧م.

المشكلة الأكبر من ذَلكَ أنَّ الولايات المتحدة تطالب العرب بالإقدام على التَّفاوض وتحقيق السَّلام مع إسرائيل، فأيُّ سلام يمكن أن يكون مع إسرائيل وهي تعلن وتعلن معها حاميتها الولايات المتحدة الأمريكيَّة عدم الانسحاب من الأراضي التي احتلتها بعد عام ١٩٤٨م، بغضِّ النَّظر عن الموقف مما قبل ذَلكَ، وهي الأراضي الَّتي بُني مؤتمر السَّلام عليها، وهي الأراضي التي فيها قرارات دوليَّة قاطعة في أنَّها أرض محتلة يجب على الكيان الصهيوني الانسحاب منها؟

كيف وبأيِّ معنًى يمكن يكون هناك سلامٌ مع اغتصاب الأرض والحقِّ؟ وهل قبلت بذَلكَ دولةٌ في العالم كلِّه حَتَّى ولو كانت صغيرةً لا تُرى على الخريطة؟ ولماذا يطلب من أُمَّتنا وحدها من دون أمم الأرض قاطبة أن تقبل بالواقعيَّة اللاواقعيَّة وتتنازل عن أرضها وتقيم أطيب العلاقات وأحلاها مع غاصب أرضها ومغتصب كرامتها؟

المشكلة الأكبر من ذَلكَ أيضاً أنَّ الولايات المتحدة الميمونة تدجج إسرائيل بكلِّ أنواع الأسلحة حَتَّى النَّوويَّة وتطالبنا بنزع أسحلتنا كاملةً حَتَّى سكاكين المطابخ، وتطالبنا مع ذَلكَ بالقبول باحتلال إسرائيل أرضنا، ناهيك عن المطالبة

بالقبول بكامل الرِّضا والامتنان بكلِّ الممارسات التي تقوم قوات الاحتلال من قتل وهدم وتدمير ومجازر!! وترى أنَّ أيَّ ردَّ فعل عربيٍّ على ذَلكَ، مهما صغر، هو إرهاب أَو تطرف أَو كليهما معاً، في حين ترى في السلوكات الوحشية الصهيونية عين الدِّيمقراطية والإنسانيَّة.

أيُّ أمَّةٍ في الأرض وأيُّ شعبٍ يمكن أن يقبل بذَلكَ؟

بغض النَّظر عن قوانين (الشَّرعية الدُّوليَّة) التي تجيز مقاومة المحتل، وتعدُّ ذَلكَ مقاومة شرعيَّة. لماذا كان من حقِّ الفرنسيين مقاومة المحتل الألماني؟ وبأي حقٍّ قاوم الأمريكيون من أجل الاستقلال وهم في الأصل أبناء الاستعمار الذي جاء بهم من أوربا إلى العالم الجديد؟

إنَّ الشَّعب الذي لا يقاوم المحتلَّ شعبٌ بلا شرفٍ ولا كرامةٍ، و الأمَّة التي لا تحارب المحتل أمَّةٌ لا قيمة لها، ولا تستحقُّ أن تعيش... ولذَلك انمحت كلُّ الشعوب والأمم التي لم تقاوم من احتلها وزالت من الوجود؛ زالت من الوجود لأنَّها لا تستحقُّ الوجود.

المشكلة الأكبر من ذَلكَ كلِّه أنَّ الحكام العرب يتسابقون على الاقتناع بواقعيَّة اللاواقعيَّة، وتقديم فروض الطاعة لصاحبة الجلالة الأمريكيَّة، ويفككون أسلحتهم، ويعطون أسرارها للكيان الصهيوني، ويتسابقون على التطبيع المجاني الذي يكرس العنجهية الصهيونيَّة والتمسك الصهيوني بالأرض العربيَّة...

معظم الدُّول العربيَّة اليوم، ومنذ زمنٍ غير قريبٍ، تنظر إلى الكيان الصهيوني على أنَّهُ أعزُّ أخٍ وأخلص صديقٍ، ولا ترى في الولايات المتحدة الأمريكية إلا الأب الرحيم العاطف الحاني... في حين أنَّ هٰذه الدول لا تقيم علاقةً طيبةً مع أيِّ دولةٍ عربيَّةٍ أخرى لمدة تزيد عن ثلاثة أشهر، وكأنَّ العلاقات العربيَّة العربيَّة علاقات

موسميَّة؛ إن كانت صيفيَّة لا يجوز أن تكون شتوية ولا خريفيَّة ولا ربيعيَّة... وإن كانت خريفيَّة فإنَّها لا تصحُّ في الأجواء الربيعيَّة وتفسدها حرارة الصيف!!!

إنَّ ما يعبِّر عن حال العرب اليوم هو مرضهم بقصر النظر العيني والعقلي والقلبي؛ فلا هم يفرحون ولا هم يحزنون ولا هم يفهمون!!! يضحكون ويقهقهون في التعازي والأحزان والمخازي، ويندبون في الأفراح والليالي الملاح!!!

إنَّ الشعب العربي، والأمَّة العربيَّة، مفعمان بأنبل القيم، وأشرفها، وجديران بالحياة؛ أفضل حياة. فإذا لم يكن الحكام العرب مقتنعين بذَلكَ، أَو لا يريدون له أن يكون، فعليهم أن يرحلوا ويتركوا الشَّعب يتصرف، وعلى الشَّعب، على أيِّ حالٍ، أن يتصرَّف لأنَّ أعداء الشعب، أعداء الأمة، لن يتركوا له فرصة راحةٍ، لن يتركوا للأمة شيئاً من الشَّرف ولا الكرامة.

وعلى من كان يؤمن بأنَّ حكومة الولايات المتحدة يمكن أن تكون صديقاً فعليه أن يعيد حساباته لأنَّهُ إمَّا أن يكون مُضَللاً، أَو فهم الأمور خطأ، وإلاَّ فعلينا أن نشكَّ فيه من جانبين أَو أحدهما على الأقل.

٢٠٠٥/٤/١١م.

الفصل الثالث

مجزرة غزة والصمت العالمي

سأستعير البداية من مقال كتبته في أثناء عدوان تموز الصهيوني على لبنان عام ٢٠٠٦ تحت عنوان: إدانة الكاتيوشا والعقلية الغريبَّة؛ أولاد البشر وأولاد الكلاب[١].

في أثناء عدوان تموز الصهيوني عام٢٠٠٦م أجرى مراسل محطة فوكس نيوز مقابلة مع الرَّئيس اللبناني **إميل لحود** وكان اللقاء مركزاً على فرض اعتراف على الضَّحية بأنَّها هي الجلاَّد وأنَّ الجلاَّد هو الحمل الوديع، ولكن الرَّئيس اللبناني رفض ذَلكَ مرَّاتٍ، فَرَاح الصحافيُّ يكرِّر عليه السُّؤال: «يعني أنَّك لا تريد أن تدين صواريخ الكاتيوشا!؟»، «يعني أنت ترفض إدانة صواريخ الكاتيوشا»... وظلَّ يكرر

١ . نشرنا هذا الفصل في كتابنا: **لبنان بَيْنَ حربين؛ الأزمة اللبنانية بَيْنَ الداخل والخارج** . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٧م.

السُّؤال بطريقةٍ استفزازيَّةٍ أغضبت الرئيس اللبناني ودفعته للقول بوضوح: «هل تريد أن تضع الكلام في فمي؟».

وكان الصَّحافي الصهيوني، على الأقلِّ بعقله، بكلِّ صفاقة في كلِّ مرَّةٍ يقول:

ـ «لقد رأيت الصَّواريخ تطال النِّساء والأطفال في كريات شمونة»، «لقد استهدفت صواريخ حزب الله المدنيين الإسرائيليين».

على الرَّغْمِ من الوضوح الذي يفقأ عين الجاحد فإنَّ هٰذا الصَّحافي التَّافه لم يرَ كلَّ المدنيين الذي استهدفتهم مختلف الأسلحة الصهيونيَّة ورأى الاستهداف النَّادر للمدنيين الصَّهاينة بصواريخ حزب الله. وعلى الرَّغْمِ من أَنَّهُ لم يسقط طفلٌ بصواريخ حزب الله فيما سقط مئات الشُّهداء من الأطفال بالأسلحة الصهيونيَّة فإِنَّهُ يقلب الحقيقة ويرى أنَّ المقاومة اللبنانيَّة هي التي استهدفت الأطفال، ويريد من الضَّحية أن يرى هٰذه الحقيقة بالمقلوب مثله.

هٰذا الصحافي صورةٌ من صور العقلية الغربيَّة في التَّعامل معنا نحن العرب، ولذلك ليس الموقف من كاتيوشا حزب الله هو الأول، إنَّهُ النسخة الكربونيَّة المتكررة من التعامل من قضايا أمتنا العَربيَّة. وقد تكرر مع القضية الفلسطينيَّة مئات المرات وليس العشرات.

منذ صباح اليوم السبت ٢٧ كانون الأول ٢٠٠٨م باشرت القوات الصهيونيَّة مجزرةً في غزة كانت تعدُّ لها علناً، وعلى علم العالم كله، منذ أسابيع. منذ أسابيع وهي تعلن أنَّهَا ستجتاح غزَّة، أي إنها سترتكب مجزرةً كبيرةً ليست صغيرةً، أي إنَّها قصَّة مجزرةٍ معلنةٍ، ومع ذٰلكَ لم يتحرَّك أحدٌ في العالم، حَتَّى العرب، ولم يتخذ أحدٌ أيَّ إجراء، ولا تهديد ولا وَعِيْد...

وقعت المجزرة اليوم والعالم يتابع بصمت ورُبَّمَا بإعجاب وتقدير، الإعلام الغربي يتحدَّث عن حقِّ الصَّهاينة في الدفاع عن أنفسهم. لقد طالب الفرنسيون والأمريكان منذ أيام بإدانة صواريخ القسَّام التي يعترف الكيان الصهيوني ذاته أنها بدائيَّةٌ لا تفعل شيئاً، وهي منذ بدء إطلاقها لم تقتل شخصاً واحداً، اللهم إلا اليوم في الرَّد المكثَّف على المجزرة أدت هٰذه الصَّواريخ إلى قتل مغتصبٍ صهيونيٍّ.

قتل هٰذا الصهيوني جاء في الرَّدِّ على المجزرة التي أدت حَتَّى كتابة هٰذه السطور إلى استشهاد ١٥٥ شهيداً، وأكثر من مئتي جريح[٢]. ومع ذٰلكَ نجد أنَّ السُّلطة الفلسطينيَّة التي يفترض بها أن تكون هي المقاوم للاحتلال هي التي تدين صورايخ القسَّام، والدول العَربيَّة صامتةٌ صمتاً مريباً... فماذا ننتظر من الغرب عامَّة وهو أصلاً لا يرى المجازر الصهيونيَّة ويرى الحجر الذي يطلقه الفلسطيني صاروخاً.

المجزرة أيُّ مجزرة بشعة، ولٰكنَّ المجازر الصهيونيَّة عامَّة، ومنها مجزرة اليوم، مجازر تنطوي على حقدٍ ووحشيَّة رُبَّما لا مثيل لها في تاريخ البشريَّة.

لقد اختار جيش الاحتلال الصهيوني ساعة الذروة لتنفيذ مجزرته البشعة، اختار ساعة عودة الطُّلاب من المدارس والنَّاس من أعمالهم وبدأ قصفه الصَّاروخي المكثَّف فقتل من قتل وجرح من جرح، وأكمل دائرة حقده البشع إذ انتظر حَتَّى تجمهر النَّاس في أماكن القصف وأعاد قصف الصَّواريخ والمتفجرات، التي زادت عن

٢ . هذه الأعداد بعد ساعات من بدء المجزرة، وقد استمرت الغارات على قطاع غزة فبلغ عدد الشهداء في صبيحة اليوم التالي أكثر من مئتين وسبعين شهيداً، وزاد عدد الجرحى عن ٨٠٠ جريح. من بينهم أكثر من ١٨٠ في حالة حرجة... وما زال العدد في تزايد.

١٠٠ طن كما أعلن وسائل إعلام الكيان الصهيوني ذاتها، على أماكن تجمهر النَّاس من أجل إنقاذ الجرحى والمصابين، وكرَّر الكيان الصهيوني سيرته.

سيقولون إنَّ مصر نددت وإنَّ الاتحاد الأوروبي دعا إلى وقف العدوان ورُبَّمَا تنعقد قمَّة عربية، على غير العادة منذ عشرات السَّنين... أليس في هٰذا ردٌّ على المجزرة؟!

لا أريد الحديث عن القمم العَربيَّة فالكلام فيها صار مكرراً كثيراً، إنها منذ نشأة الجامعة العَربيَّة من غير فعلٍ ولا جدوى لأنَّ معظم الحكَّام العرب عملاء للصهيونيَّة وعبيدٌ للولايات المتحدة الأمريكيَّة، فماذا يمكن أن تؤدِّي إليه القمَّة التي يمكن أن تنعقد من نتائج؟

لقد جربنا القمم العَربيَّة عشرات السنين ولم نفرح يوماً بنتيجة لهٰذه القمم. كلُّ قراراتها المفرحة حبرٌ على ورقٍ، وكلُّ ما يؤدِّي إلى مزيد التشرذم والانقسام ينفذ بسرعةٍ لا تعدلها سرعة.

أمَّا التَّنديد مهما كان شديداً، ومهما كانت الدولة التي تندِّد، فإنَّهُ ضحكٌ على اللحى. تتسارع بعضٌ من الدُّول ومنها العَربيَّة إلى التَّنديد الخجل بجرائم الصهيونيَّة ومجازرها من دون أيِّ إجراءٍ عمليٍّ أو تنفيذيٍّ يمكن أن يؤدِّي إلى ردع العدوان أو معاقبة المعتدي الصهيوني، فيما تهب الدول العَربيَّة أولا ودول العالم كلها لمعاقبة الفلسطينيين كلَّما فكروا بوقف التنازلات للصهيونيَّة التي تحتل أرضهم.

ومع ذٰلكَ فإنَّ التَّنديد ذاته لم يصدر على لسان أيِّ دولة غربيَّة، وما التعليقات التي صدرت، وهي قليلة جدًّا، إلا تعليقات عامَّة لا تفيد معنى التَّنديد، ولا تعني المطالبة بوقف المجزرة، ففرنسا تقول مثلاً على لسان رئيسها **ساركوزي**: «هناك استخدامٌ غير متكافئٍ في القوَّة في غزة». وكأَنَّهُ صحافي يصور الفرق بَيْنَ

الأسلحة المستخدمة في المعركة، بل في المجزرة لأنه لا توجد معركة أصلاً، ولا يوجد عند الفلسطينيين العزَّل أيُّ سلاحٍ، فهم محاصرون منذ احتلال فلسطين وممنوعون من استيراد أيِّ نوعٍ من أنواع الأسلحة، فيما الكيان الصهيوني يحوي ترسانة أسلحة تعد من الترسانات الأكبر في العالم.

أمَّا الولايات المتَّحدة فكانت صريحةً إذ أعلنت أنها تتفهم الإجراءات الإسرائيليَّة في غزَّة، تقول إجراءات وكأنها تتحدَّث عن قطع كهرباء أو إغلاق بعض أفران الخبز!!!

الأغرب من ذَلكَ كله أنَّ مصر الشقيقة التي حاصرت غزَّة أكثر من الصَّهاينة ما فتئت تكرِّر: «مصر أطلقت التَّحذيرات ومن لا يتبع التَّحذيرات لا يلوم إلا نفسه». وهٰذا التَّعبير بما يتضمنه من إشاراتٍ وقاحةٌ ما بعدها وقاحة لأنه يشير إلى الضُّغوط المصريَّة على حماس التي تسيطر على غزة من أجل الاستسلام والتَّسليم للكيان الصهيوني، ولأنَّ حماس رفضت شدَّدت مصر الحصار وأجازت المجزرة الصهيونية، وقد أكَّدت وسائل الإعلام أنَّ إسرائيل أطلعت شريكها **عمر سليمان** رئيس المخابرات المصريَّة على العمليَّة، وكيف تطلعه على مثل هٰذا الأمر ما لم يكن شريكاً.

مع كلِّ هٰذا الوضوح لهٰذه الحقائق، ومع كلِّ هٰذا التَّناقض الصَّارخ مع الواقع لم نجد من الغربيين من يعترض ليقول إنَّ الحقيقة عكس ذَلكَ، لا من السِّياسيين ولا من صغار المسؤولين ولا من كبارهم، ولا من صغار المواطنين ولا من كبارهم...

لأنَّ كل الرُّدود والتَّعليقات من مختلف دول العالم كانت بلا قيمةٍ ولا قوَّةٍ أعلن كلُّ المسؤولين الصهاينة على التَّتالي أنَّهُم لن يوقفوا هٰذه العمليات . المجزرة . التي رُبَّما تستمرُّ أياماً ورُبَّمَا شهوراً.

قد يكون من الممكن، بعد إغماض العينين، ووضع غطاءٍ سميكٍ على العقل، أن نقول إنَّ الغرب عدوٌّ تاريخيٌّ للشَّرق، وله أيديولوجيَّته الخاصَّة في فهم المنطقة وما فيها من أحداثٍ ووقائعَ. ولذلك يمكن تفهُّم الموقف الغربي مع ما فيه جرحٌ بالغٌ للضَّمير والعقل والمنطق. ولٰكن كيف يمكن أن نفهم الاصطفاف العربي المخزي وراء الكيان الصهيوني وعدم القيام بما يردع الكيان الصهيوني عن مجازره المتلاحقة ضدَّ الفلسطينيين خاصَّة والعرب عامَّة؟!

إذا كان تفهُّم عدم قيام العرب بما يردع الكيان الصهيونيَّ عن مجازره أمرٌ يربك العقل إرباكاً كبيراً فكيف يمكننا أن نتفهَّم ما يقدِّمه بعضُ العرب، مهما بلغت خيانتهم من الشِّدَّة، ما يسوِّغ لهٰذه المجازر الصهيونيَّة ضدَّ الفلسطينيين ويدافع عنها؟!!

لا ترحمونا أيُّها الخونة العملاء.

لا ترحموا عقولنا.

ارحموا عقولكم أنتم فقط فإنَّكم دستم كلَّ منطقٍ وعقلٍ وضميرٍ وقيمٍ نبيلةٍ، وأثخنتم الجراح في كلِّ ما يمتُّ إلى الإنسانيَّة بصلةٍ.

الفصل الرابع

ومجلس الأمن أعمى

اجتمع مجلس الأمن الدولي بدعوةٍ من ليبيا اجتماعاً طارئاً على مستوى المندوبين الدَّائمين للبحث في تدابير تواجه المجزرة الصهيونيَّة البشعة في قطاع غزة.

اجتمع والمجزرة مستمرَّةٌ متصلةٌ، غارةٌ تلو غارةً، وقصفٌ تلوٍ قصفٍ؛ الدَّمار يزداد ويمتدُّ من شارعٍ إلى شارعٍ، والشُّهداء في ازديادٍ، فبعدما كانوا في غارات السَّاعة الأولى نحو مئة وخمسين، وصلوا الآن بعد نحو ثمانٍ وعشرين ساعةً إلى أكثر من ثلاثمئة، وازداد عدد الجرحى، فبعدما كانوا في غارات السَّاعة الأولى نحو مئتين وصل عددهم الآن إلى أكثر من ثمانمئة بينهم نحو مئتين في حالة خطرة.

في ظل هذه الأجواء اجتمع مجلسُ الأمن بدعوةٍ ملحَّةٍ من المندوب الليبي في مجلس الأمن. اجتمع مجلس الأمن على استحياءٍ من الكيان الصهيوني الذي يرتكب المجزرة البشعة بحقِّ شعبٍ أعزل ليس لديه من السِّلاح شيءٌ إلا صواريخٌ بدائيَّةٌ باعتراف الكيان الصهيوني ذاته.

أمام هٰذه المجزرة الكبيرة التي استخدم فيها الكيان الصهيوني الطائرات والقاذفات الإستراتيجية التي تستخدم في الحروب الكبرى ضدَّ شعبٍ أعزل ليس لدية من السِّلاح شيء، ومحاصرٌ منذ أشهرٍ كثيرةٍ ليس لديه طعامٌ ولا دواء ولا كهرباء ولا وقود... أمام هٰذه المعطيات سيفترض أيُّ إنسانٍ أنَّ مجلس الأمن سيتخذُ على الفور ومن دون مناقشةٍ قراراً فوريًّا بإلزام الكيان الصهيوني بوقف مجزرته حَتَّى ولو اضطر إلى استخدام القوَّة.

نعلم أنَّ مجلس الأمن بالقيادة الأمريكيَّة متآمرٌ مع الكيان الصهيوني متآزرٌ معه. ولذٰلك، ونحن العرب الذين نعلم ذٰلكَ، لم ننتظر من مجلس الأمن مثل هٰذا القرار، ولم نتوقَّع مثله أبداً. ولكن أن يصل الإسفاف في النِّقاشات والبيان الصَّادر عن مجلس الأمن إلى ما وصل إليه من تفاهةٍ وعدوانٍ على الشَّعب الفلسطيني فهٰذا أمرٌ ليس مرفوضاً وحسب، بل أمرٌ لا يجوز للعرب أبداً السُّكوت عليه، والسُّكوت على ما كان من مجلس الأمن الدولي لا يقلُّ بشاعةً وصفاقةً عن الصَّمت على المجازر التي ارتكبها وما زال يرتكبها الكيان الصهيوني في غزَّة.

نقطة انطلاق مجلس الأمن اليوم في مسألة المجزرة هزيلةٌ لا ترتقي إلى المستوى المطلوب، ولكنَّهَا كانت أضعف الإيمان وهي إدانة المجزرة الصهيونيَّة. ولكنَّ النِّقاش طال في ذٰلكَ وطال، وتوقَّفت الجلسة التشاوريَّة أكثر من مرَّةٍ، وفي كلِّ جولةٍ كان سقف ما سيصدر عن مجلس الأمن

ينخفض أكثر، حَتَّى ظننا أنَّ مجلس الأمن سيدين أهل غزَّة ويصدر قراراً تحت البند السابع يجيز استخدام القوة للقضاء على أهل غزة لأنهم يهددون أمن إسرائيل ويشكلون عالةً على الإنسانيَّة!!

حقًا لقد وصل الظَّنُّ بنا إلى هٰذه النقطة لأنَّ الأمر لا يستحقُّ هٰذا النِّقاش، ولهٰذا التَّراجع عن إدانة الكيان الصهيوني إلى صيغ تُمسخ شيئاً فشيئاً حَتَّى مسخت الحقيقة وشوَّهتها.

المصيبة التي ما بعدها مصيبة، وما أكثر مصائب أمتنا اليوم التي يصح عليها قولنا إنها مصيبةٌ ما بعدها مصيبةٌ، هي أنَّ مجلس الأمن الدولي أثبت للمرة الألف بعد الألف أنَّهُ أعمى وأكثر من أعمى، فقط فيما يتصل بأمتنا العربية، فصدر القرار بما لم يختلف كثيراً عما ظنَّنا أنَّهُ سيصل إليه من إسفافٍ ومسخٍ للحقيقة وتشويه لها.

لقد دعا مجلس الأمن الدُّولي صباح اليوم الأحد ٢٠٠٨/١٢/٢٨م، في البيان الذي تلاه السَّفير الكرواتي **نيفين جوريكا**، رئيس الدورة الحالية لمجلس الأمن، إلى الوقف الفوري لكلِّ أعمال العنف في غزة. وقال بيان مجلس الأمن الدولي، وجاء قوله بحياء شديدٍ وخجلٍ كبيرٍ، «إن أعضاء مجلس الأمن الدولي يعبرون عن قلقهم العميق تجاه تصعيد الوضع في غزة ويدعون إلى إيقاف أعمال العنف كافَّةً».

لنلاحظ بدايةً أنَّ ما صدر هو بيانٌ فقط وليس قراراً، وهٰذا البيان ليس رخواً فقط بل صفيقٌ صفاقةً عجيبةً، تصفع الحقَّ والعقل والمنطق ومعهم الخدَّ العربي صفعةً جديدةً يصحو أهل الكهف من وقعها، وقد سبقتها مئات الصَّفعات المشابهة، ولٰكن من دون أن يتعلَّم العرب من

الـدرس حكمـةً أو أمـراً واحـداً، علـى الـرَّغْمِ مـن أنَّ الغـبي يسـتخلص منـه دروساً ويغيِّر سلوكه على ضوئها.

البيان يدعو دعوةً فقط، وكأَنَّهُ يدعو دعوة رفعِ عَتَبٍ إلى وليمة غداءٍ أو عشاءٍ أو حفل طهور ولدٍ صغيرٍ. والدَّعوة التي دعاها غير ملزمة.

ولكن إلى ماذا كانت الدعوة؟

إنها «دعـوة إلى إيقـاف أعمـال العنـف كافَّـةً» أي إنها دعـوةٌ إلى وقـف العنـف المتبـادل!! ويجـب أن نعلـم جيِّـداً أنَّها دعـوة إلى وقـف العنـف المتبـادل بَـيْنَ شـعب أعـزل لا حيلـة لـه إلا الرجـاء ولا سـلاح لـه إلا الأمـل، وبَـيْنَ جـيش الكيـان الصـهيوني المـدجَّج بـأعتى أنـواع الأسـلحة والـتي يسـتخدمها كلهـا في ارتكـاب مجزرتـه. إنهـا مسـاواةٌ بَـيْنَ الشَّـعب الـذي احتُلَّـت أرضـه وحوصـر في لقمتـه وضـروريات عيشـه، وبَـيْنَ المحتـل الـذي سـلب الأرض وحاصر أهلها ومنعهم الغذاء والدَّواء والماء والهواء!!

بعد إصدار البيان خرج علينا المندوب الأمريكي الدائم في مجلس الأمن الدولي **زلماي خليل زاد** ليقول بوقاحة: «إنَّ المطلوب أولاً هو وقف الصواريخ التي يطلقها الفلسطينيون على المدنيين الإسرائيليين». ورأى لهذا **الزلماي** أنَّ لهذه الصَّواريخ هي السَّبب، لأن هي التي خرقت التهدئة.

لهذه وقاحةٌ جديدةٌ وكذبٌ صريحٌ جديدٌ لأنَّ الكل يعلم علم اليقين أنَّ الفلسطينيين هم الذين احترموا التَّهدئة، وأنَّ الكيان الصهيوني هو الذي لم يحترم هدنة ولا تهدئة أبداً، فقد ظلَّ جيش الاحتلال يمارس الاغتيالات والقصف طيلة فترة التَّهدئة والهدنة. ولهذه ليست عادةً جديدةً فمنذ دخل الصهاينة إلى فلسطين للتأسيس لاستيطانها وهم الوحيدون الذي يخرقون

الهدنة ويرتكبون فالمجازر في فترة الهدنة، وما زالوا على هٰذا الخلق منذ ذٰلكَ الحين وحَتَّى اليوم. ومع ذٰلكَ الذي لا يجهله أحدٌ، إلا من أراد أن يكون أعمى بقرار مُحْكَمٍ عنيدٍ، فإنَّ **زلماي خليل زاد**، وليس الوحيد في ذٰلكَ، يرى ويعلن أنَّ الفلسطينيين خرقوا التَّهدئة بإطلاق الصَّواريخ، وهٰذه الصَّواريخ باعتراف الكيان الصهيوني ذاته صواريخٌ بدائيَّةٌ جدًّا، بالمصادفة تكاد تقتل... أمَّا الخرق الصَّفيق الوحشي للتَّهدئة الذي يمارسه الصَّهاينة فإنَّه غيرُ مرئيٍّ ولا يُشاهد.

على أيِّ حالٍ يمكن على مضضٍ تفهُّم العمى الذي يعاني منه المندوب الأمريكي تجاه الكيان الصهيوني، فماذا نقول عن مندوبي أربع عشرة دولةٍ آخرين. المندوب الأمريكيُّ واحدٌ، فما حال أربعة عشر مندوباً آخرين رجال مثل المندوب الأمريكي؟ ألم يفكِّر أحدٌ في الاحتجاج أو الانسحاب؟!

المصيبة التي لا تخطر في بال بشرٍ أنَّ المندوب الفلسطيني ذاته كان مسروراً من البيان ورأى أنَّهُ قرارٌ جيِّدٌ، ويدعو إسرائيل إلى وقف العمليَّات العسكريَّة.

أن يكون مندوبٌ واحدٌ أعمى فتلك مصيبةٌ.

ولكن أن يكون اثنان منهم عمياناً فإنَّ المصيبة عظيمةٌ.

أمَّا أن يكون ثلاثة مندوبين عمياناً فإنَّها مصيبةٌ لا تطاق...

فماذا نقول إذا كان المندوبون كلهم عمياناً!!! رُبَّما نحتاج دهراً بعد دهر من التَّأمل والتفكير حَتَّى نتفهم ذٰلكَ ونجد له وصفاً.

ولٰكنَّ عندما نعلم أنَّ المندوب السَّادس عشر، المندوب الفلسطيني ذاته، الضَّحيَّة، أعمى مثلهم أيضاً عن رؤية الحقيقة والواجب، نستطيع أن نفهم شيئاً ما.

وعندما نعلم أنَّ بعض قادة العرب منخرطون إلى أذنيهم في تصفية الفلسطينيين، وتصفية كلِّ مقاومة عربيَّة للتسلط الغربي على العرب يصل إلينا معظم الحقيقة التي حيرنا فهمها.

فهل من دعوة بعد اليوم إلى التَّصالح مع الخونة والعملاء؟

إن كانت فإنَّها دعوةٌ حمقاء.

وهل يتحول الدم إلى ماء؟

الأحد ٢٠٠٨/١٢/٢٨م

الفصل الخامس

في قلب المأساة نكتة

ما زالت المجزرة الصهيونية في غزة مستمرَّةً منذ صباح يوم السبت ٢٧ كانون الأول ٢٠٠٨م وحَتَّى اليوم الثلاثاء ٣٠/ ١٢/٢٠٠٨م.

كانت المجزرة في بدايتها مروعةً، ولَكنَّهَا لم تتوقف حَتَّى هٰذه اللحظة، غاراتٌ مستمرَّةٌ، قذائف مستمرةٌ، استهدفت النَّاس كلَّ الناس، فارتفع عدد الشهداء حَتَّى هٰذه اللحظة إلى نحو ٤٠٠ شهيد، ووصل عدد الجرحى إلى نحو ألفي جريح بينهم نحو مئتين حالتهم حرجة.

دمَّر العدوان الصهيوني مدارس وجامعات ومساجد ومخازن أدوية ومبان حكوميَّة، ودمَّر من المنازل الأهليَّة ما لا يحصى، وأطبق الحصار على أهل غزة فمنع وصول الإغاثة من أيِّ نوعٍ من الأنواع.

في كلِّ لحظةٍ يزداد الكيان الصهيونيُّ عتواً وجبروتاً وتمرُّداً على المظاهرات والاحتجاجات التي احتشدت في كثيرٍ من بلدان العالم حَتَّى المناصرة منها للكيان الصهيوني، وفي كلِّ ساعةٍ يطلقُ مسؤول الكيان الصهيوني تصريحاً يعلن فيه أنَّ المجزرة مستمرة ولن تتوقَّف. وعلى الرَّغْمِ من الصُّور الواضحة الصريحة التي تكشف عن وحشية العدوان الصهيوني يعلن الصهاينة أنَّهم لا يستهدفون المدنيين، وأنَّ أهدافهم عسكريَّة فقط. ويعلنون بكلِّ صفاقةٍ أنَّهم ليسوا ضدَّ أهالي غزة وإنما هم يشنُّون عدوانهم على حماس فقط، على المقاومة فقط. بينما المدنيون هم أكثر الشهداء والجرحى.

الحرب حربٌ على أيِّ حالٍ، ولٰكنَّ المشكلة النكتة التي ما بعدها نكتة هي في الموقف العربيِّ المحاط بالعار بَدَلَ الفَخَار، فمنذ اندلاع المجزرة بدأت المشاورات العربيَّة من أجل عقد قمَّةٍ، من أجل اجتماع وزراء الخارجيَّة، ولٰكنَّ معظم القادة العرب يتغنجون غنج الماجنات الفاجرات؛ يرفضون تارةً الاجتماع، وتارةً يوافقون لٰكنَّهُم يتحفظون على عدم جدوى الاجتماع، وتارةً أخرى يعترضون على المكان، وتارةً يتحفَّظون على البيان... وبعد لأيٍ وجهدٍ اقترحوا أن يجتمع وزراء الخارجية أولاً في القاهرة ولٰكن يوم الأربعاء، أي غداً، أي بعد أن يكون الصَّهاينة قد أنجزوا معظم مهمتهم في إبادة الفلسطينيين وتدمير مؤسسات الخدمات والمنازل والطرقات والجسور والأنفاق.

أمَّا الاجتماع على مستوى القمة فله شأنٌ آخر، فإنَّ القادة العرب حَتَّى لهٰذه اللحظة يتمادون في غنجهم ودلالهم تمادياً عجيباً.

في السَّاعات الأولى من المجزرة دعت سوريا ثُمَّ قطر إلى اجتماع قمَّة طارئ، وظل الرئيس السوري والأمير القطري في تواصلٍ دائمٍ مع الزعماء

العرب من أجل عقد القمة. وافق على الفور القليل الذي لا يصل إلى نصف النِّصاب، وبقي استكمال النصاب الذي جعل الجماهير العربية والشخصيات الاعتبارية تناشد الرئيس **حسني مبارك** خاصَّة الذي يعرقل انعقاد القمة وتتوسل أن يوافق حَتَّى تنعقد القمة ولٰكنَّ تعليقاً واحداً منه أو من ناطق باسمه لم يصدر، وظلَّت الجماهير العربيَّة تترقب موافقته التي ستغير مسار التاريخ ولٰكنَّ تعليقاً لم يصدر...

في هٰذه الأثناء كان على المسؤولين المصريين أن يحاولوا ترقيع الثَّغرة التي فتحها **مبارك** برفضه عقد القمَّة بما أمكنهم من توقعات وتفتقات.

اليوم الثلاثاء تضيف السعوديَّة رفضها إلى الرفض المصري، ويعلن وزير الخارجيَّة السُّعودي صباح اليوم أنَّ السُّعوديَّة ما زالت متردِّدة في عقد القمَّة. وهٰذا هو المنطق الطَّبيعي فقد استغرب الكثيرون كيف أنَّ السعودية وافقت على عقد القمة في السَّاعات الأولى من مطالبة الرئيس **بشار الأسد** والأمير **حمد** بعقد القمَّة.

أمَّا ما بقي من الحكام العرب فمحيرون في ردودهم، فمنهم من يريد تغيير المكان، ومن لا يلتقي فلان، ومن لم يقل شيئاً، ومن، ومن...

المجازر مستمرةٌ والسِّجال بَيْنَ الحكام العرب مستمرٌّ؛ هل يعقدون القمة أم لا يعقدونها؟ هل يصدرون بياناً أم لا يصدرون بياناً؟ هل يتَّخذون قرارات أم يكتفوا بالشَّجب؟ هل يشجبون باللغة العربيَّة أم بلغة أجنبيَّة؟

عندما تمَّ شبه توافقٍ على عقد قمَّة تَمَّ تحديد يوم الجمعة، في اليوم الأول من المجزرة حدَّد الزعماء العرب عقد القمة بعد أسبوعٍ كاملٍ، أي بعد انتهاء كلِّ شيء... إن انتهى.

في المقابل من ذَلكَ لم يكن الأوروبيون مكترثين بالمجزرة، هم على الأقل من يدعم الكيان الصهيوني، ولم يصدر منهم تعليقٌ على المجزرة إلا في النادر ومن قليل جدًّا منهم، ومع ذَلكَ فإنهم عندما رأوا أنَّ المجزرة استمرَّت فقد قرروا في ساعةٍ واحدةٍ عقد اجتماع وزراء خارجيَّة الاتحاد الأوروبي اليوم الثلاثاء ٢٠٠٨/١٢/٣٠م.

في ساعةٍ واحدةٍ قرَّر وزراء الخارجية الأوروبيون الاجتماع وتوافد الوزراء للاجتماع، وسيجتمعون اليوم قبل اجتماع وزراء الخارجية العرب في يوم غدٍ، إن اجتمعوا، على الرَّغْمِ من أنَّ وزراء الخارجية العرب ينسقون للاجتماع منذ بداية المجزرة...

منذ بداية المجزرة ووزراء الخارجيَّة العرب يناقشون ماذا سيقولون وماذا ينبغي ألا يقولوه، ومن يتكلَّم أولاً ومن يتكلَّم ثانياً... ولم يتَّفقوا بعد على ما يمكن أن يدور عليه الاجتماع. أمَّا وزراء الخارجية الأوروبيون فإنهم اجتمعوا على الفور من دون مناقشة أو جدل لمناقشة تطورات الأوضاع في غزة.

غزَّة تحترق والسَّادة الحكَّام العرب الرَّافضون للقمة يتعاملون تعامل الأطفال، يريدون إغاظة بعضهم بدماء شهداء غزة، رُبَّما لا يريدون رفض القمة خوفاً من شيءٍ إلا من نجاح دعوة من دعا لعقد القمَّة.

مؤسفٌ جدُّ مؤسفٍ أن يكون هٰذا الأمر أحد عوامل الغنج في قبول الدَّعوة لعقد القمَّة.

ولٰكنَّ المؤسف أكثر وأكثر بكثيرٍ مما يتوقع هو أن يكون رفضهم انعقاد القمَّة ناجمٌ عن خوفهم من إنقاذ حماس أو من خوفهم من إحراج الكيان الصهيوني، ولن يستطيعوا إلى أيٍّ من الأمرين سبيلاً.

ولٰكنَّ المؤكَّد هو أنَّهم لا يخافون أبداً من الشَّارع العربي، ولا يخافون أبداً من انتهائهم إلى بيان سخيفٍ لا قيمة له، لأنَّهم عوَّدونا على هٰذه البيانات التي لا تغني ولا تسمن من جوعٍ، وعدمها خير منها.

الأطرف من ذٰلكَ كله أنَّ قمة دول التعاون الخليجي انعقدت في سلطنة عُمان اليوم الثَّاني من المجزرة. قالوا قبل الانعقاد إنَّ ما يحدث في غزة سيكون على جدول الأعمال. ولٰكنَّ طيلة الحفل الافتتاحي لم تذكر فلسطين ولا المجزرة في كلمةٍ واحدةٍ من الزعماء الخليجيين.

علَّق بعض الصَّحافيين بأنَّه من الممكن أن يكون طرح هٰذه المجزرة في الجلسات السرية.

فماذا سيناقشون سرًّا وهم لم يستطيعوا أن يطرحوا في العلن ما يدل أنهم سمعوا عن مجزرة فجَّرت المسيرات والمظاهرات في أرجاء العالم وصار حَتَّى من لا علاقة لهم بفلسطين من قريبٍ أو بعيدٍ معنيين بالاحتجاج على سلطات الاحتلال الصهيوني.

ستنهي قمَّة الخليج، وهي قمَّةٌ عربيَّةٌ مصغَّرةٌ، من دون إشارةٍ إلى مجزرة غزة، ورُبَّمَا من دون درايةٍ بها.

أما القمة العربية فإنَّ مشكلة وسائل الإعلام العربيَّة منذ اليوم هي مناقشة التَّصريحات التي أطلقها المسؤولون العرب عن القمة في الأيام الماضية وتحليل مضمونها ومعرفة ما يمكن أن تؤدي إليه من نتائج؛ هل تعني أنهم يوافقون على عقد القمة أم لا يوافقون؟

وبعد ذٰلكَ سيكون موضوع النقاش هو جدوى القمة وعدم جدواها، والجدال في المكان الذي يجب أن تنعقد فيه القمة، والمكان الذي ينبغي ألا تعقد

فيه القمة، والنتائج المتوقعة من القمة إن هي عقدت والنتائج المتوقعة من القمة إذا لم تنعقد.

وزاد الطِّين بلةً ظهور حقائق جديدٍ اليوم تقول إنَّ النِّظام المصري هو الذي حَرَّضَ الكيان الصهيوني على (جزِّ) رؤوس حماس. وهٰذا ما كشفته أمس صحيفة معاريف الصهيونيَّة.

لماذا أراد **حسني مبارك** جزَّ رؤوس حماس؟

لأنَّ حماس كما يعلم الجميع رفضت الرُّضوخ لمطالب مصر بالتَّسليم للكيان الصهيوني والتَّمديد **لمحمود عباس**.

الثلاثاء ٣٠/ ١٢/٢٠٠٨م.

الفصل السادس

حماس سبب المجزرة!!

مع انصراف الطلاب من المدارس وذروة انتشار الناس في الشوارع في صباح يوم السبت ٢٧ كانون الأول ٢٠٠٨م باشرت القوات الصهيونيَّة مجزرةً في غزة كانت تُعدُّ إعداداً علنيًّا، وعلى علم العالم كله، منذ أسابيع، ومنذ أكثر من ستة أشهر هي مدَّة التَّهدئة التي رعتها المخابرات المصريَّة.

المجزرة أيُّ مجزرةٍ بشعةٌ، ولٰكنَّ المجازر الصهيونيَّة عامَّةً، ومنها مجزرة اليوم، مجازر تنطوي على حقدٍ ووحشيَّة لا مثيل لها في تاريخ البشريَّة. على الأقل حَتَّى يومنا هٰذا، فرُبَّما نجد ما يتجاوز هٰذا الحقد الصهيوني.

ذهب ضحية هٰذه المجزرة في السَّاعة الأولى نحو ١٥٥ شهيداً، وأكثر من مئتي جريح. وقد استمرَّت غارات الصَّواريخ والقذائف التَّدميريَّة على مدر السَّاعة حَتَّى السَّاعة التي أكتب فيها هٰذا المقال من صباح اليوم التَّالي، فزاد عدد الشهداء

عن مئتين وسبعين شهيداً، وزاد عدد الجرحى عن ٨٠٠ جريح، بينهم أكثر من ١٨٠ في حالة حرجة.

لم تمر هٰذه المجزرة بالصَّمت المخزي وحسب من قبل القادة العرب خاصَّةً ودول العالم عامَّةً وحسب، بل رافقتها إداناتٌ صفيقةٌ للفلسطينيين، لحماس خاصَّة. مثل العادة لم ير العالم الأعمى ما حدث ويحدث وما كان يحدث، لم ير الحقيقة التي تسدُّ عين الشَّمس بقوَّتها، ورأى أنَّ العصفور هو الذي اعتدى على الصَّيَّاد واستفزه كي يطلق عليه قذيفة الهاون، ورأى أنَّ استفزاز العصفور للصياد جريمةٌ بشعةٌ نكراء، وأنَّ إطلاق قذيفة الهاون على العصفور دفاع عن النفس مشروع ولم يكن عنه بديلٌ.

هٰذه صورة ما حدث أمس وحَتَّى صباح اليوم ٢٠٠٨/١٢/٢٨م[٣] مع الفلسطينيين، وما كان يحدث في كلِّ جريمة ترتكب في حقِّهم، ومثل ذٰلكَ ما حدث مع العراق، ومع لبنان، ومع سوريا، والصومال، والسُّودان...

لسنا بحاجةٍ إلى مزيد بداهة حَتَّى نعرف مسؤوليَّة حماس عن المجزرة، الذين شهدوا هٰذه المجزرة شهدوا مجزرة قانا الثَّانية التي ارتكبها الكيان الصهيوني بحقِّ فلسطينيين أبرياء عزَّلٍ من أيِّ نوعٍ من السِّلاح، ومع ذٰلكَ قالوا إنَّهم هم المسؤولون عن المجزرة، وأنَّ حزب الله هو الذي ارتكب المجزرة.

ومع أنَّنا لسنا بحاجةٍ إلى العودة إلى الجذور لنعرف ما معنى مسؤوليَّة حماس عن المجزرة فإنَّنا سنلقي قليل الضَّوء على ذٰلكَ.

---

٣ . اليوم هو رأس السنة الهجرية، ويبدو أنَّ هذه المجزرة المستمرة هي هدية رأس السنة الهجريَّة، الإسلاميَّة، وقد عودنا الكيان الصهيوني، ومعه الولايات المتحدة الأمريكية منذ تحرير الكويت على أن لا تمر مناسبة عربية/ إسلامية أو حَتَّى في الأعياد المسيحية، من دون هدية ضخمة من هذا القبيل.

حركة حماس إحدى حركات المقاومة الفلسطينية في الداخل ضدَّ لكيان الصهيوني الذي يحتل أرض فلسطين. وقد فازت في الانتخابات التَّشريعيَّة الفلسطينيَّة التي جرت في نيسان ٢٠٠٦م، إذ فازت بـ٧٦ مقعداً مقابل ٤٣ مقعداً لحركة فتح التي كانت تتولى السلطة الفلسطينية والمجلس التشريعي شبه منفردة منذ اتفاقية أوسلو عام ١٩٩٣م.

جرت الانتخابات برعايةٍ دوليةٍ ومراقبةٍ دوليةٍ، وقد أشاد الجميع بالديمقراطيَّة، فقال الرئيس الأمريكي **جورج بوش الابن** «إنَّ الانتخابات الفلسطينيَّة، التي أفادت نتائج غير رسميَّةٍ حصول حركة حماس على أغلبية الأصوات فيها، هي نداء تنبيه للقيادة... إنَّ ما أفرزته الانتخابات مؤشِّر على أنَّ الفلسطينيين غير راضين عن الوضع القائم»[٤]. وعلى الرَّغْمِ من أنَّه قال: «إنَّ الانتخابات تظهر ما تفعله الديمقراطيَّة، وأنَّ هٰذا شيءٌ إيجابيٌّ بالنسبة لمنطقة الشَّرق الأوسط». إلا أنَّهُ «دعا رئيس السلطة الفلسطينية **محمود عباس** للبقاء في السلطة»، وهٰذا ذاته اعتداء صريحٌ على الديمقراطيَّة.

وتابعت وزيرة خارجيَّته **كوندوليزا رايس** الإشادة بالديمقراطية التي أوصلت حماس إلى السُّلطة وتابعت كذَلكَ العدوان على الديمقراطية إذ طالبت حماس بالتخلي عن فلسفتها وقناعاتها، على الرَّغْمِ من أنَّ هٰذه الفلسفة والقناعات هي التي أدَّت إلى فوزها في الانتخابات.

ومثلما فعلت **كوندوليزا رايس** فعل وزير الخارجية البريطاني الذي اكتفى بمطالبة حماس بالتخلي عن فلسفتها وعقيدتها وقناعاتها.

٤ . جاء هذا الكلام في مؤتمر صحافي خاص بالانتخابات في البيت الأبيض يوم الخميس ٢٠٠٦/٤/٢٧م.

أمَّا الحكام العرب وأبواقهم فقد سكتوا عن التَّعليق، على الرَّغْمِ من الفرح الغامر للجماهير العربيَّة بفوز حماس، باستثناء السلطة الفلسطينيَّة التي وقفت في البداية موقف الولايات المتحدة والغرب، فعلى الرَّغْمِ من أنَّ **أحمد قريع** رئيس الحكومة الفلسطينيَّة في هٰذا الوقت أشاد بالديمقراطيَّة التي أوصلت حماس إلى السُّلطة بقوله: «إنّه اختيار الشَّعب ويجب احترامه. وأعتقد أنَّهُ إذا تمَّ تحقيق الأغلبيَّة، فإنَّهُ على حماس أن تشكِّل حكومةً جديدةً». ولكنَّهُ رفض نتائج الانتخابات على الفور وأعلن شبه انقلاب عليها في أول تعليق للسلطة الفلسطينية إذ أكَّد أنَّ حركة فتح، التي خسرت الانتخابات لن تشارك في الحكومة وأنها تختار المعارضة. وكان لهٰذا الكلام جواباً على طلب **محمود الزهار** القيادي في حركة حماس الذي أعلن أنَّ حماس تريد تشكيل حكومة ائتلافية مع فتح.

رفضت فتح كل المقترحات التي قدَّمتها حماس للمشاركة في حكومة الوحدة الوطنيَّة على الرَّغم من أنها تستطيع تشكيل الحكومة منفردةً تماماً. فشكَّلت حماس الحكومة منفردةً وبدأت فتح والسلطة الأمنيَّة التي تسيطر عليها فتح بمحاربة حكومة حماس فلم تسلمها السلطة ولم تتح لها أيَّ صلاحية وعرقلت كلَّ قراراتها، ناهيك عن أنَّ حماس باشرت مسؤولياتها وليس في خزائن الدولة درهمٌ واحدٌ على الإطلاق، سُرقت كلُّ الأموال وتركت حماس وحدها لتتصرف، وعندما تصرفت حماس وجلبت الأموال من التَّبرعات منعتها مصر من إدخالها، فراح مسؤولو حماس يخرجون إلى خارج فلسطين ليحملوها بأيديهم وعندما يدخلون بها إلى فلسطين تقوم الأجهزة الأمنية لفتح بمصادرتها... ناهيك فوق ذٰلكَ عن الحصار القاتل الذي فرض على الفلسطينيين من كلِّ الجهات. وبعد ذٰلكَ كلِّه راحوا يقولون إنَّ حماس عاجزةٌ عن قيادة الدولة وتأمين الرواتب للموظفين، وتأمين المواد الغذائيَّة والأدوية

والماء والكهرباء... في حين أنَّ كل ما يجلبه الحماسيون تمنع مصر والأردن إدخاله، وما يستطيعون إدخاله تصادره السُّلطة الفلسطينيَّة التي خسرت الانتخابات ولم تترك السلطة.

الثَّمن الذي كان تطلبه مصر خاصَّة وإسرائيل من أجل فكِّ الحصار هو اعتراف حماس بالكيان الصهيوني وعدم مقاومة الاحتلال والرضوخ للكيان الصهيوني وقبول أن يقتلوا من دون اعتراض.

بناء على هٰذه الحقائق رأى العالم أنَّ حماس هي المسؤولة عن المجزرة، لقد أعطيت أكثر من فرصةٍ من أجل التَّسليم بالطَّلبات السَّابقة ولٰكنَّهَا رفضت فكانت سبب المجزرة.

سنكرِّر للمرَّة الألف بعد الألف بعد الألف أننا لا نلوم الولايات المتحدة الأمريكيَّة إذا أعلنت أنَّ حماس هي المسؤولة، وقد أعلنت ذٰلكَ صباح اليوم ٢٠٠٨/١٢/٢٨م على لسان **جوردون جوندرو** النَّاطق باسم البيت الأبيض إذ أعلن أنَّ حماس هي المسؤولة عن المجزرة، وأنَّ الولايات المتحدة تتفهم الدوافع الإسرائيلية لهٰذه العمليَّة. وكذٰلكَ فعلت **كونداليزا رايس** وزيرة الخارجية الأمريكيَّة عندما حمَّلت حماس المسؤوليَّة، ومثل ذٰلكَ فعل مجلس الأمن الميمون...

المصيبة الكبرى هي في العرب عامَّة وفي الفلسطينيين خاصَّة، وأعني فتح والسُّلطة الفلسطينيَّة، فعلى الرَّغْمِ من أنَّ جميعهم يرجو **حسني مبارك** ويتوسَّل إليه أن يوافق على عقد قمَّة عربيَّة طارئة وهو يتغنج غنج الماجنات ويكرِّر إنَّ «مصر أطلقت التَّحذيرات ومن لا يتبع التَّحذيرات لا يلوم إلا نفسه». وهٰذا التَّعبير يتضمَّن إشارةً وقحةً وقاحةً ما بعدها وقاحة إلى الضُّغوط المصريَّة على حماس التي تسيطر على غزة من أجل الاستسلام والتَّسليم للكيان الصهيوني.

العجب الذي ما بعده عجب يأتي من فتح وقادة فتح التي كنَّا نظن أنها حركة مقاومة للاحتلال الصهيوني حَتَّى نجحت حماس في الانتخابات، فقد أعلن مستشار **محمود عباس** رئيس السلطة الفلسطينية أنَّ حماس هي المسؤولة عن المجزرة، وما يحدث من عدوان على غزة، لا يختلف في ذَلكَ عن الكيان الصهيوني والولايات المتحدة الأمريكيَّة. وأكثر من قياديٍّ فتحاويٍّ راح يوجِّه اللوم إلى حماس ويعدُّها مسؤولةً عن المجزرة. فهل يُستَبعدُ بعد ذَلكَ أن يكون **محمود عباس** شريكاً في العدوان؟

المهندس الفتحاوي **سميح خلف** عضو لجنة إقليم تنظيم حركة فتح في ليبيا أعلن في بيانٍ نشرته بعض وسائل الإعلام أنَّ **محمود عباس** وضع اللبنة الأولى للهجوم الصهيوني الحاقد على قطاع غزة قبل البدء فيه بـ١٢ ساعة. وتابع **سميح خلف** وهو من قادة فتح الموالية **لمحمود عباس** أنَّ **عباس** فعل ذَلكَ من خلال وصف غزة وممانعتها بأنها تجمع للقوى الظلاميَّة، وأنَّها ركيزةٌ لتنظيم لقاعدة.

وأضاف **خلف** مخاطباً **عباس** قائلاً: «لا بُدَّ للشَّعب الفلسطينيِّ اليوم، بأكمله في الضِّفة وغزَّة وخارج الوطن، أن يرفع غطاء الشَّرعية عنكم، لأنَّكم جزءٌ من المؤامرة على جزءٍ من الشَّعب الفلسطينيِّ، بل على الشَّعب الفلسطيني بكامله... وعلى العرب أن لا يجعلوا موطئ قدمٍ لكم ولمستشاريكم».

هٰذا غيضٌ من فيض ما يجب أن يقال عن جرحٍ سيظلُّ ينزف ما دام هؤلاء الخونة أصحاب قرارٍ في أرضنا وعرضنا وكرامتنا ودمنا.

الفصل السابع

هل بددت المظاهرات الصمت؟

ما زالت المجزرة الصهيونيَّة في غزَّة مستمرَّة منذ صباح يوم السَّبت ٢٧ كانون الأوَّل ٢٠٠٨م وحَتَّى السَّاعة من ظهر يوم الأربعاء ٢٠٠٨/١٢/٣١م، فارتفع عدد الشَّهداء إلى أربعمئة، وعدد الجرحى إلى أكثر من ألفين بَيْنَهم نحو مئتين حالتهم حرجةٌ، أي مشاريع شهداء.

المجزرة بشعةٌ، شأن كلِّ المجازر الصهيونيَّة، ولٰكنَّ المجزرة اليوم أبشع مجزرةٍ منذ مجازر عام ١٩٦٧م... ولم تزل المجزرة مستمرةً.

اندلعت المظاهرات منذ اليوم الأول في دمشق والقاهرة وعمان الأردن وبيروت، وفي اليوم التالي استمرَّت المظاهرات المنددة وانتشرت أكثر، وكبرت أكثر، فخرجت الجماهير العربيَّة في معظم المدن العربيَّة، وتعاظم الاحتجاج أكثر وأكثر...

ومع ذلكَ كَتَبْنَا في اليوم الأول، والثاني عن الصَّمت العالمي المخزي. واستمرَّت المظاهرات والاحتجاجات أكثر فأكثر فبدأ الشَّارع الغربيُّ يخرج في مظاهراتٍ احتجاجيَّةً، وزاد حجم المظاهرات، وزاد حجم الاحتجاجات، وأماكن المظاهرات التي اتَّسعت أكثر فأكثر.

واستمرَّت المجزرة.

واستمرَّت المظاهرات والاحتجاجات.

وزاد عدد الشُّهداء والجرحى فازدادت المظاهرات أكثر وازداد الغضب أكثر، وكثرت أماكن المظاهرات أكثر... حَتَّى الولايات المتحدة الأمريكيَّة ذاتها راحت المظاهرات تعمُّ بعض شوارعها احتجاجاً على المجزرة الصهيونيَّة.

وما زالت المجزرة مستمرَّة.

وصارت المظاهرات ظاهرةً يوميَّةً في كلِّ المدن العربيَّة تقريباً، إلا من لم يرحمها ربي، ومنها مدن الخليج العربي كلِّها تقريباً.

وثارت ثائرة الناس في أبرز مدن العالم التي سارت المظاهرات فيها احتجاجاً على المجزرة الصهيونيَّة.

وماذا بعد؟

ألم تحرِّك المجزرة الضَّمير العالميَّ كلَّهُ؟

ألم تتحرَّك الشُّعوب معظمهما احتجاجاً على الوحشيَّة الصهيونيَّة؟

فماذا بعد؟

ألا يكفي ذَلكَ لنقول إنَّ الصَّمت قد زال؟!

ألا تكفي كلُّ هذه المظاهرات التي يملأ صداحها الشَّوارع في العالم كلِّه تقريباً تنديداً بالمجزرة الصهيونيَّة؟

أليس في ذَلكَ كلِّهِ ما يكفي للقول بأنَّ الصَّمت قد انكسر؟

ألا يكفي ذَلكَ كلِّهِ للقول بأنَّ الصهيونيَّة قد انفضحت وانكشفت؟

لن نقول إنَّ هٰذه المظاهرات كلِّها هرأْء. ولٰكنَّهَا كلَّها جزءٌ من الصَّمت، إنها تعبيرٌ عن غضب النَّاس الذين لا حيلة بيدهم إلا الغضب بالصُّراخ والهتاف.

الصَّمت لم ينكسر، والمؤامرة مستمرَّة.

إنَّ كلَّ الهتاف والتَّنديد الذي حصل ويحصل من النَّاس والمسؤولين ليس شيئاً، وليس فعلاً، لأنَّ أحداً لم يتَّخذ إجراءً لردع العدوان ووضع حدٍّ للمجزرة.

إنَّ المظاهرات التي عمَّت شوارع العالم كلِّهِ ليس كسراً لحاجز الصَّمت وإنَّمَا هي تأجيجٌ لجبروت الكيان الصهيوني وعنجهيته، فكلَّما زادت المظاهرات زاد الكيان الصهيوني جبروتاً وإصراراً على الاستمرار في المجزرة، وزاد عتواً في المطالب من أجل وقف المجزرة.

هل نحن بحاجةٍ إلى مزيدٍ من البداهة لإدراك المقصود من كسر حاجز الصَّمت؟

عندما شنَّت روسيا حربها على جورجيا قامت دول الاتحاد الأوروبي بتجميد علاقاتها مع روسيا خلال ساعاتٍ قليلةٍ من بدء الحرب الروسية على جورجيا. لم تنتظر دول الاتحاد الأوروبي المظاهرات، ولم تنتظر دعوة وزراء الخارجيَّة للاجتماع، ولم تدعو إلى عقد قمَّة، ولم يجتمع أحد... خلال ساعات تَمَّ تجميد علاقات دول الاتحاد الأوروبي مع روسيا للضَّغط عليها لوقف الحرب على جورجيا.

في اليوم التالي تمَّ سحب بعض السُّفراء، وتمَّ استدعاء سفراء روسيا لإبلاغهم الاحتجاج والدَّعوة إلى وقف الأعمال العسكريَّة... واستمرَّت التهديدات الأوروبيَّة والأمريكيَّة، وتقدَّم الجيش الأمريكي إلى الحدود الروسيَّة، وتقدَّم الأسطول الأمريكي إلى الشَّواطئ الروسيَّة، وأمدَّت جورجيا بالأسلحة الثَّقيلة من أجل الدِّفاع عن نفسها...

ماذا فعل العرب والعالم أمام مجزرة الكيان الصهيوني؟

مع فلسطين نسي الأوروبيون اللباقة واللياقة وكيفية التَّصرُّف الجاد الفعَّال. وكذلكَ نسي الأمريكان، ونسي مجلس الأمن... أكثر ما صدر منهم هو شبه تنديدٍ، شبه شجبٍ... لم يصل الأمر قط إلى الشَّجب التَّام، ولا إلى التَّنديد التَّام، إنَّهُ مشروع شجبٍ، مشروع تنديدٍ، ومع ذلكَ ظل يربط بَيْنَ العنف الفلسطيني والعنف الصهيوني بالتَّساوي، ولهذا عمى ما بعده عمى.

مَرَّةً أخرى بعد آلاف المرَّات نقول: نحن لا نلوم الأوربيين ولا الأمريكيين لأَنَّهُم هم الذين أوجدوا الكيان الصهيوني، وهم الذي يدعمونه. لننظر في العرب أصحاب الأرض وأهل الشُّهداء والجرحى.

ماذا فعل العرب؟

هل تمَّ التهديد بالتَّدخل العسكري من أيِّ دولة عربيَّة، ولن نسأل إن كان تمَّ إرسال قذيفةٍ واحدةٍ إلى المقاومين في غزة، مع العلم أنَّ هذا هو السُّؤال الذي يجب أن يُسأل لأنَّ القتلى والجرحى هم أبناؤنا وأهلنا، والأرض التي تحرق وتباد هي أرضنا وليست أرض جيراننا؛ أرضنا العامرة بأبنائنا وأهلنا وليست أرضاً يباباً خرباً من أرضنا أو أرض غيرنا. ومع ذلكَ لن نسأل هذا السُّؤال الخطير، سنسأل أسئلةً أسهل من ذلكَ بكثيرٍ جدًّا، وأقل قيمةً بكثيرٍ جدًّا:

هـل طُـرد السَّـفير الصـهيوني مـن أيِّ دولـةٍ عربيَّـةٍ تقـيم علاقـات دبلوماسـيَّةٍ مـع الكيـان الصـهيوني؟ لا بـل دعونـا نسـأل: هـل اسـتُدعيَ السَّـفير الصـهيونيُّ في أيِّ دولـةٍ عربيَّـةٍ لتبليغـه احتجـاج هٰـذه الدَّولـة العربيَّـة علـى الجـزرة الصهيونيَّة؟

هل سحبت أيُّ دولةٍ عربيَّةٍ سفيرها في الكيان الصهيوني أو استدعته فقط محض الاستدعاء إشارةً إلى الاحتجاج وعدم الرِّضا؟

هـل قامـت أيُّ دولـةٍ عربيَّـة تقـيم علاقـاتٍ مـع الكيـان الصـهيوني بتجميـد علاقاتها مع هٰذا الكيان الغاصب المعتدي؟

العرب لم يفعلوا شيئاً أبداً أبداً أبداً. بل لم يفعل العرب ما هو أدنى من ذٰلكَ بكثيرٍ جـدًّا، حَتَّى مبـادرة السَّـلام الـتي يحشـوها العـرب في أنـف الكيـان الصـهيوني حشواً، فيما الكيان الصهيوني يتغنَّج في قبولها ورفضها، لم يطرح أيُّ زعيمٍ عربيٍّ أو ناطقٍ باسمه فكرة سحبها أو حَتَّى تعليقها.

الله أكبر...

ماذا ينتظر العرب أكثر حَتَّى يتحرَّكوا، حَتَّى يفعلوا؟

الله أكبر...

كـم مرَّةٍ كرَّرنا مثل هٰذه العبارة ولم يتغيِّر في الفعل السِّياسي العربيِّ شيءٌ!!

إذا كانـت الأمور قد وصلت إلى مـا وصلت إليه من تـأزُّم وشـدَّة وانفضـاح حقـائق ومـا زال قـادة العـرب علـى مـا هـم عليـه في المربـع الأول مـن التَّحـرك لم يتجاوزوه، فمتى يمكن أن يتحرَّكوا؟

لو كان الغباء هو السَّبب لبلعنا مصيبتنا وخرسنا.

لو كان العمى هو الذي ضَرَبَ على أعينهم جدراً لبلعنا مصيبتنا وسكتنا.

لا العمى ولا الغباء ولا الحمق يمكن أن يفسِّر شيئاً من هٰذا الصَّمت القاتل. لا يفسِّرهُ إلا شيءٌ واحدٌ هو الاشتراك في العدوان؛ اشتراك هؤلاء الحكَّام العرب في العدوان على الفلسطينيين وكلِّ العرب.

فلا تنظروهم إنَّهُم في العدوان شركاء.

انتظرناهم عقوداً، وكلَّما طال الانتظار زادوا في طغيانهم وجبروتهم... وكلما انكشفت حقائقهم أكثر زادوا فجوراً في محاربة العروبة والإسلام بوضح وصراحة لا لبس فيها...

إنهم يريدون، مثلما تريد الصهيونيَّة وأمريكا، ألا يرتفع رأس عربيٍّ فيه نخوةٌ أو كرامةٌ أو عزَّةٌ. فهل ننتظر منهم أن ينقذوا أهلنا من المجزرة؟!

ما يحدث اليوم من تخاذل حكام العرب خاصَّةً يدعونا إلى الدُّعاء ألا يكون القادم أسوأ، فإن من كانت هٰذه أخلاقهم في مثل هٰذا الحال لا يستبعد أن يصدر عنهم ما هو أشد سوءاً ووقاحةً وعداءً للعرب والمسلمين.

اللهم الطف، اللهم الطف، اللهم الطف...

الفصل الثامن

ومن الإفتاء ما قتل

علماء السَّلاطين وما أدراك ما علماء السَّلاطين. أن يكونوا جهلةً لا علاقة لهم بالدِّين ويتصدَّرون الإمامة ورُبَّما الإفتاء فأمر لا يمكن تقبله عقلاً، ولٰكنَّ مع ذٰلكَ قد يمكن السُّكوت عليه تجاوزاً ولعقاً للصبر فوق العلقم. ولٰكنَّ أن تكون فتاويهم متخمةً بالغباء، وضدَّ الإسلام ومخالفة لكلِّ أصول الإسلام فهٰذا ما لا يمكن أن يطاق ولا تصبر عليه أعظم البشر صبراً.

لن نستعرض تاريخ فتاوى علماء السلاطين التي تدينهم وتدين السَّلاطين وتشوِّه صورةَ العالم الإسلامي وصورة الإسلام فتلك مسألةٌ طويلةٌ أتخم بها تاريخ الدول الإسلاميَّة منذ الاستقلال عن الاستعمار الأوروبي على نحوٍ خاصٍّ. فمنذ خروج الاستعمار الأوروبي من الدول العربيَّة والإسلاميَّة استلم السُّلطة أنظمةٌ أقلُّ ما يقال فيها إنَّهَا عميلةٌ وتابعةٌ للاستعمار، وبعض ما يجب أن يقال فيها إنها عدوَّةٌ للشُّعوب العربيَّة والإسلاميَّة، مناهضةً لمصالح الأوطان.

نحن اليوم أمام أنموذجٍ لعلماء السَّلاطين، لم يكن غائباً عن الإفتاء الذي يعادي الأمَّة فيما قد سلف من تاريخ الأمَّة في المواقف التي تستدعي تسخير الدِّين لإنقاذ السُّلطان من حرجٍ أو بلاءٍ، أو رُبَّما لإنقاذ أعداء الأمَّة من أزمةٍ أو ضيقٍ أو حرجٍ مصدره المسلمون. وهٰذا الأنموذج لن ينتهي وسيظلُّ موجوداً، ولا ندري بماذا سَيُلَهَمُ هؤلاء العلماء من فتاوى تضحك الشَّياطين وتبكي الحجر.

على أيِّ حالٍ، فيما العدوان الصهيوني على غزة أكل الأخضر واليابس، وخرس السَّلاطين العرب والمسلمون عن أيِّ إفتاءٍ أو تصرُّف، ولجموا الشُّعوب العربيَّة عن الفعل والقول، لم يجد الشَّعب العربي منفساً ومنفذاً إلا في إعلان مقاطعة بضائع الشركات والدول الداعمة للكيان الصهيوني. وتصاعدت هٰذه الحملة تصاعداً كبيراً أدَّى إلى آثارٍ سلبيةٍ صريحةٍ وواضحةٍ على هٰذه الشَّركات.

هنا استنجد الكيان الصهيوني، والله أعلم، أو الشركات الصهيونية فيما يبدو، بمن ينقذهم من هٰذا البلاء؛ بلاء المقاطعة. فتنطَّع الشيخ **عبد العزيز آل الشيخ** المفتي العام للملكة السُّعودية وشنَّ هجوماً شنيعاً وتشنيعيًّا على المروِّجين لمقاطعة سلع بعض المنتجات العالميَّة في السُّعودية وغيرها من دول العالم العربي والإسلامي، ووصفهم بـ«المطعطعين». وقال في إفتاء لا أدري ما مصدره ولا مغزاه: «إنَّ التَّبادل التِّجاري بَيْنَ الدُّول جائزٌ».

رحم الله الصالحين والمصلحين، ومن قال قبل ذٰلكَ بأنَّ التَّبادل التِّجاريَّ غيرُ جائزٍ يا فضلة الشيخ؟ من قال من المسلمين شيوخاً وعلماء ومواطنين كباراً وصغاراً ونساءً ورجالاً بأنَّ التَّبادل التِّجاري غيرُ جائزٍ بَيْنَ الدول حَتَّى تأتي وتصحِّح هٰذا الخطأ؟! وما علاقة ذٰلكَ بمقاطعة سلع الشَّركات والدول التي تدعم الكيان الصهيوني دعماً واضحاً، وتساهم في قتل أبنائنا وأخوتنا وأهلنا في فلسطين؟

الحقيقة أنَّ هٰذا تمهيد، مدخل لإيصال فكرة تحريم المقاطعة، وهٰذه هي الفتوى العظمى التي باضها الشيخ على المرتاح، يعني من دون تعب.

كان ذٰلكَ في محاضرة للشيخ المفتي **عبد العزيز** بجامع الإمام **تركي بن عبدالله** بالرياض نقلته جريدة الحياة في عدد اليوم ٢٠٠٩/١/٢٤م، إذا قال: «من الواجب علينا الابتعاد عن الطعطعة، فأنت تضر نفسك وتضر الناس، والعالم الآن كالحلقة الواحدة لا يغتني بعضه عن بعضٍ، فالعالم كلُّه كما يحتاجون لنفطك، تحتاج أنت لسلعتهم، والتَّهديد بالمقاطعات التجارية لبعض المنتجات لا يخدم شيئاً».

كلامٌ منطقيٌّ، وتحليلٌ منطقيٌّ، ومنطقٌ منطقيٌّ... سيقود في النَّتيجة إلى أنَّ إسرائيل موجودةٌ، والتَّعاملُ معها ضرورةٌ، وعدم التَّعامل معها غلطٌ وخسارةٌ ورُبَّما حرامٌ.

هٰكذا تعامل الشَّيخ المفتي مع الدَّعوة إلى مقاطعة البضائع والسِّلع التي تنتجها شركات تدعم الكيان الصهيوني. ورأى أنَّ ذٰلكَ تسرعٌ في التَّفسيق والتبديع والتكفير بهدف الانتقام. وهو كما يرى الشَّيخ المفتي إساءةُ ظنٍّ ومزلقٌ خطرٌ.

ونظراً لعظيم فقهه وعلمه فقد أدرك ما لا يدرك الجاهلون، فقد تابع في محاضرته بأنَّ موضوع التَّفسيق والتَّسرُّع في التَّفسيق أمرٌ خطيرٌ وشائكٌ «لا ينجو منه إلا ذو علمٍ راسخٍ»، أمثال الشَّيخ المفتي، ولا ينجو منه «إلاَّ كلُّ ذي إيمانٍ صادقٍ في قوله وعمله»، أمثال الشَّيخ المفتي طبعاً. ويتابع بكلامٍ منطقيٍّ بأنَّهُ «يجب التَّعامل مع النَّاس بما ظهر منهم من خيرٍ فنحبُّهم عليه، وما ظهر منهم من سوءٍ ومخالفةٍ، فنبغضهم على قدر ما ظهر منهم من مخالفةٍ وأعراضٍ».

الطَّريف الجميل الأنيق المضحك المبكي هو أنَّهُ في نهاية المطاف حذَّر المسلمين من تذويب الشَّرع لمصلحتهم، ومن أن يحكموا على النَّاس في التَّفسيق والتَّبديع والتَّكفير لهواهم ومصالحهم لا لأجل الله، إذ يمنحون ألقاباً غير إسلاميَّة لبعضهم، ويضعونهم في موضع استهزاء واحتقار.

تفنى الحياة ولا يفنى النِّفاق، ليست هٰذه أول فتاوى الشيخ ولن تكون آخرها، وليس هٰذا الشيخ وحده من يفتي مثل هٰذه الفتاوى فأينما وَلَّيْتَ في بلاد العرب والإسلام وجدت الكثير من هؤلاء العلماء الذين يبيعون الدين والإيمان إرضاءً للسطان بما لا يرضي الله تعالى.

لا أستطيع هنا إلا أن أتذكر قصَّة عالمٍ جليلٍ، هو مفتي تونس أيام **بورقيبة** عندما أراد أن تُفْطِرَ النَّاس في رمضان دفعاً للمشقَّة في العمل، فاستقدم المفتي وأمره أن يخرج على الهواء على الإذاعة ويفتي بجواز عدم الصيام لمن يعمل. فذهب المفتي إلى الإذاعة وبدأ الكلام بعد البسملة قائلاً: قال تعالى في كتابه العزيز: {يَا أَيُّهَا الذِيْنَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُم}. وقال **بورقيبة**: الصِّيام غير واجبٍ. صدق الله تعالى وكذب **الحبيب بورقيبة**.

٢٠٠٩/١/٢٤م

الفصل التاسع

التوابيت جاهزة فلا تخافوا

فيما المجزرة الصهيونيَّة في غزَّة ماضيةٌ على قدمٍ وساقٍ أكثر من أسبوعين؛ آلة الحرب العسكريَّة الإسرائيليَّة من الطَّائرات والصَّواريخ والمدفعيَّات تدكُّ غزَّةَ وتحاول اجتياحها بهمجيَّةٍ كبيرةٍ وتحصد العشرات من القتلى والجرحى يوميًّا يخرج علينا مسؤولو كثيرٍ من دول العالم الغربي بَيْنَ اليوم والآخر، وخاصَّةً منذ أسبوعين، ليعلنوا مواقفهم الإنسانيَّة التَّعاطفيَّة التي تستجلب الدَّمعة والقشعريرة إحساساً بمدى تعاطفهم وإنسانيتهم...

يقولون: نحن سنقدِّم لكم البطانيات والأوديَّة... نقوم بحملة مساعدةٍ للجرحى ونسعى إلى إدخالها إلى غزَّة... لقد قدَّمنا كذا ألف دولار للمساعدات الطِّبية للجرحى والقتلى... ندعو اليونسيف إلى الإسراع بإجراءات مساعدات

المنكوبين... على مصر والأردن السَّماح للجرحى بالدخول إلى بلادهم من أجل استكمال العلاج...

ولٰكنَّ هٰذه الإنسانيَّة لم تنفصل عن العنجهيَّة الغربيَّة والتَّعامل الدونيَّ مع العرب والقضايا العربيَّة. ففي حين تقديم تلك العروض التي تبدو مفعمةً بالإنسانيَّة فإنَّ كلَّ الدُّول تمنِّن الفلسطينيين بأنَّها جاهزةٌ لتقديم الأدوية، جاهزةٌ لاستقبال الجرحى. وليس هٰذا فحسب بل تشعر بأنَّ الإنسانيَّة تقطر من أشداقهم وهم يتكلَّمون عن تقديمهم المساعدات الإنسانيَّة الإغاثيَّة التي يبدو أنَّها تحمل عنواناً واحداً: لا تخافوا ولا تقلقوا من الإصابات بالصَّواريخ والشَّظايا والمدافع فالأدوية التي نقدِّمها لكم كثيرةٌ والشَّاش الذي نوفِّره لكم كثيرٌ، ولا تخافوا من أن تصابوا وتتعرضوا للضَّرب فالمشافي في استقبالكم... لا تخافوا ولا تقلقوا من أن تقتلوا فالأكفان التي نقدِّمها كافيةٌ، والتَّوابيت جاهزةٌ... لا تخافوا ولا تقلقوا ولا تحزنوا فلدينا الكثير من المساعدات الإنسانيَّة؛ الإغاثيَّة والطبيَّة... ويا ليتها صادقةٌ في هٰذه الوعود...

هو سلوكٌ من سلوكات البشريَّة العمياء، ولونٌ من ألوان العمى المدهش العجيب... بل أكاد أقول إنَّ الكلمات تعجز عن وصف قذارة هٰذا السُّلوك وانعدام الإنسانيَّة فيه.

بغضِّ النَّظر عن عدم صدقهم في هٰذه الوعود، وهٰذا ما سنعود إليه بعد قليلٍ، فإنَّ هٰذه الوعود والتَّصريحات العلنيَّة بحرفيتها توحي إلى جانب ما سبق بأمرٍ خطيرٍ جدًّا، لئيمٍ جدًّا، وهو تصريحهم للكيان الصهيوني باستمرار القتل وارتكاب المجازر والاطمئنان إلى أنَّ المجتمع الدولي، الدول الغربيَّة، ستمتص الرَّأي العام العالمي، وستمتصُّ غضبة الشُّعوب، وستغطِّي

على آثار الجريمة المجزرة باستقبال الجرحى وتقديم الأدوية لهم كي لا تبدو الفاجعة العظيمة على حقيقتها، تغيب معالم الجريمة المجزرة ولا تبدو كبيرةً... إنها تقول للكيان الصهيوني بصريح العبارة: اقتلوا ولا تخافوا ولا تحزنوا ولا تقلقوا فإنَّنا من ورائكم سدٌّ وسندٌ وحرزٌ أمين، لن نسمح بتفاقم الرأي العام ضدَّكم، سَنُسْكت الجميع عن انتقادكم، سنجعل الأمر يبدو عاديًّا وكأنَّ شيئاً لم يكن، وكأنَّكم لا تفعلون شيئاً غريباً أو عجيباً أو داعياً للاستنكار.

إنَّ هٰذا السُّلوك في حقيقة الأمر مبنيٌ على أساسٍ ذرائعيٍّ، مصلحيٍّ محضٍ، ظاهرهُ وباطنهُ انعدامٌ تامٌّ لأيِّ إنسانيَّة، وأساسُ التَّفكير فيه المصلحة. أمام المصلحة الغربيَّة تسقط كلُّ القيم مهما كبرت أو عظمت أو كانت مقدَّسة.

فلسفة الغرب في هٰذا التَّدفق العاطفي في تقديم المساعدات للجرحى والقتلى، ورُبَّما تكون فلسفته الأساسيَّة في ذٰلكَ، أي السُّكوت على القاتل الصهيوني ومجازره، وحَتَّى غيره في أماكن أخرى من العالم، هي أنَّ تقديم هٰذه المساعدات هو تنشيط لاقتصاداتهم ومصانعهم وشركاتهم ومؤسَّساتهم... كلَّما زاد حجم المصيبة زاد ضخُّ الدم في شريان المؤسسات الاقتصادية الغربيَّة التي ستعمل بطاقةٍ أكبر، وتمتصُّ فائض بطالةٍ، وتحرك الاقتصاد؛ تصنيع الأدوية، نقلها، الشَّركات التي تتعامل بها... تصنيع الأغذية، نقلها، الشركات التي تتعامل بها... وحَتَّى الدول الأخرى التي ستسهم في المساعدة فإنها غالباً ستضطر إلى الشِّراء أو الاستعانة بالشركات والمؤسسات الغربيَّة... يعني في الخلاصة أنَّ الاقتصاد الغربي قد

لا ينمو ولكنَّهُ ينتعش بالضَّرورة من هٰذه الأزمات. ولذلك، لماذا يقفون أمام الجزَّار أو الدول التي ترتكب المجازر والدمار في أماكن مختلفة من العالم في حين أنَّ هٰذا القتل والدمار والمجازر شريان أساسيٌّ من شرايين إنعاش اقتصاداتها؟!

إنَّ الوقوف مع الكيان الصهيوني في هٰذه المجزرة؛ السكوت عليها والتَّصريحات المشتعلة إنسانيةً في تقديم المساعدات واستقبال الجرحى وربَّما الوعود بإعادة الإعمار وتأهيل البنى التحتية... ليس فقط لأنَّ الكيان الصهيوني ربيب الغرب وطفله المدلل الذي ينبغي أن لا يخدشَ مشاعره أحدٌ، بل لأنَّ ذٰلكَ يخدم مصالح الغرب الاقتصاديَّة، على الأقل.

قلنا إنَّ إسرائيل هي طفلُ الغرب المدلل وهٰذا يوحي بالوداعة والمسكنة والضَّعف، في حين أنَّ إسرائيل غول متغوِّلٌ وليست أبداً طفلاً لا وديعاً ولا غير وديعٍ. وهٰذه هي الحقيقة بشقيها، فإسرائيل في نظر الإعلام الغربي أمام الشارع الغربيِّ ليست أكثر من طفلٍ يحتاج إلى الرعاية والوصاية والحماية باستمرار، ولكنَّهُ في حقيقة السِّياسة الغربيَّة وصلب ممارستها كيان يجب أن يبدو قويًّا متغوِّلاً، ويجب أن يكون كذٰلكَ، ويجب أن يبقى كذٰلكَ، ولذلك فإنَّ تحصين إسرائيل هو الشق الثاني من تحقيق المصالح الغربيَّة، هو الوجه الثَّاني للقطعة النَّقديَّة ذاتها. ولذلك نقول ولا نبالغ في القول إذا قلنا: إنَّ السُّكوت على المجازر الإسرائيليَّة وإغراء الفلسطينيين بالمساعدات للسكوت وتمييع الموقف العالمي هو أيضاً تحصين لإسرائيل وحماية له ومنع أيِّ نقدٍ لها. وما يحدث مع إسرائيل في مجازرها سيكون ذاته لدى قيام أي نظام عربيٍّ داعمٍ لإسرائيل، فأيُّ نظامٍ داعمٍ لإسرائيل لن

يرى الغرب جرائمه مهما بلغت من البشاعة لأنه سيكون نسخةً من إسرائيل طالما أنَّهُ يقف موقفاً إيجابياً من إسرائيل، ولهذا ما نراه بوضوح في سكوت المجتمع الدولي عن قمع الحريات في الدول الصديقة لأمريكا/ إسرائيل وتسويقها في الثقافة الغربية والإعلام الغربي بوسائل مختلفة، في حين أنَّها تحارب دولاً أخرى قمع الحريات فيها أقلُّ من الدول الصديقة لأمريكا/ إسرائيل.

إنَّ تحصين الكيان الصهيوني ضامنٌ لمصالح الغرب بالضَّرورة ولا نطيل في ذَلكَ فهٰذا الأمر كان موضوع كتابٍ لنا كبيرٍ حمل عنوان: انهيار أسطورة السلام؛ مصير السلام العربي الإسرائيلي الذي صدر بدمشق في طبعته الأولى عام ١٩٩٤م، وفي طبعته الثانية بدمشق عام ٢٠٠٣م.

هٰذه هي فلسفة السياسة الغربيَّة في تقديم المساعدات؛ أنانيَّةٌ قذرةٌ. أقول السِّياسة الغربية لأني أستثني الشُّعوب الغربيَّة من هٰذه القذارة. الشُّعوب مسكينةٌ، مُسَيَّرةٌ. لا حول لها وقوة إلا بقدر ما تعرف من الحقيقة، والحقيقة التي تعرفها مزيفةٌ بإتقانٍ شديدِ التَّعقيد تجعل موقف الموطن الغربي صورةً عن موقف السِّياسة الغربيَّة.

ولٰكن بعد هٰذا التَّطبيل والتَّزمير والتَّشدق المصحوب بموسيقى تصويريةٍ عن عن تقديم المساعدات والتَّباهي بالأرقام المقدَّمة للمساعدات التي يسيل لها لعاب من يجهل الحقيقة، ورُبَّما من يعرف كذبهم قد يسيل لعابه لهٰذه الأرقام. نسأل: هل يفي الغرب بهٰذه الوعود؟

لا أظنُّ أبداً إلا أنَّ هٰذه الأرقام والوعود سحابة صيفٍ لا تدري بها إلا وقد مرَّت وكأنها حلم في الورى أو خلسة المختلس، فهي إما أنَّها كذبٌ وادعاءٌ

واستعراضٌ إعلاميٌّ، أو أنَّها لها طرائق خاصَّةٌ لتوزيعها بعيدةٌ كلَّ البعد عن مسار توزيعها الواجب كأن تكون مشروطةً بشروط معيَّنةٍ لا يدري بها إلا السياسيون الذين لا يبوحون بالأسرار التي تدور في كواليس السِّياسة. وما أدراكم ما كواليس السياسة وما يدور فيها من صفقات، وما ينسج فيها من مؤامرات أو مخططات تظل طي كتم الإخفاء والتستر، لا يجلوها إلا مصادفةٌ أو تقادمٌ. وكم من أسرارٍ مضى عليها عشرات السِّنين ما زالت مطويةً تحت الأوراق الصَّفراء لأنَّ أبطالها ما زالوا صناع الموقف والقرار، وآثارها ما زالت موجودةً، ويمكن أن تغيِّر في الواقع شيئاً. كيف لا والأنظمة العربيَّة التي ما خرج الاستعمار إلا وقد سلَّمها زمام السُّلطة ووضع لها مخطَّطات عملها، ما زالت هي التي تحكم منذ ما يسمى زوراً بالاستقلال.

دمشق في ٢٠٠٩/١/١٥

الفصل العاشر

عاجل إلى حماس والمقاومة
لماذا الإصرار على المبادرة؟

ما زالت المجزرة المستمرَّة، واليوم السَّبت السَّادس عشر من كانون الثَّاني ٢٠٠٩م هو اليوم الحادي والعشرون من أيَّام المجزرة، وقد تواصل سفك دماء الفلسطينيين من دون توقُّفٍ، فوصل عدد الشُّهداء إلى ١١٣٣ شهيداً، بينما تجاوز عدد الجرحى ٥٤٠٠ جريحاً بَيْنَهم الكثير من الحالات الخطيرة.

مع تواصل المجزرة وتواصل سفك الدِّماء والدَّمار الوحشي شبهُ إصرارٍ على المبادرة المصريَّة من قبل الأطراف الدوليَّة المختلفة إلا الفلسطينيين. والسُّؤال الذي يفرض ذاته لماذا لهذا الإصرار على هذه المبادرة؟ ولماذا تمنع المبادرات الأخرى؟ والسُّؤال الأكثر من كلِّ ذَلكَ أهميَّة هو: لماذا يجب أن يكون هناك مبادرة واتفاقيَّة؟

السُّؤال الأخير هو الذي يجب أن نقف عنده أو هو ما نريد أن نقف عنده هنا لأنَّ الأسئلة الأخرى لها مكانٌ آخر وقد وقفنا عندها وناقشها غيرنا كثيرٌ أيضاً.

بغضِّ النَّظر عن أيِّ شيءٍ أو تفصيلٍ في المبادرة المصريَّة أو رُبَّمَا غيرها مما يتم السَّعي إليه يجب أن نتساءل: لماذا لا يجوز أن ينتهي العدوان الصهيوني إلا بمبادرةٍ وتوقيع اتفاقيَّة بَيْنَ المعتدي والمعتدى عليه؟

يجب أن تعلم حماس والفصائل الفلسطينية المقاومة والعرب اللاهثين وراء تسويق المبادرة، مهما كانت طبيعتها، أنَّهُ لا يوجد ما يوجب أو يدعو إلى توقيع أيِّ اتفاقيَّة أو مبادرةٍ من أجل إنهاء العدوان. وتاريخ القضية الفلسطينية وحدها فيه الكثير من الشَّواهد والأدلَّة على أنَّ العدوان الصهيوني قد بدأ مجازر وأنهاها من دون توقيع أيِّ اتفاقيَّةٍ أو مبادرةٍ، واستمرَّ النِّضال واستمرَّ العمل من أجل دفع العدوان، ولم يتنازل الطَّرف الفلسطينيُّ المقاوم عن أيِّ شيءٍ من مبادئه ومواقفه، وأقربها مجزرة جنين التي لم يمض بعد عليها وقتٌ طويلٌ.

وإذا نظرنا إلى تجارب عالميَّة من هٰذا القبيل وجدنا الكثير منها في فيتنام وفرنسا وروسيا وأفغانستان وغيرها كثير. ففي كلُّ ذَلكَ كان العدوان هو الذي يتوقف عن عدوانه بغضِّ النَّظر عن تحمُّله نتائج العدوان أو لا. ولٰكنَّ العدوان كان يتوقَّف أو ينحدر من دون اتفاقيَّةٍ مع المعتدى عليه... فلماذا يطلب ذَلكَ من الفلسطينيين الذين أفاقوا على مجزرةٍ كبيرةٍ من قبل الكيان الصهيوني الذي يحتل أرضهم.

الكيان الصهيوني هو الذي يحتلُّ أرض فلسطين وهو الذي يرتكب المجزرة في حقِّهم، ومع ذَلكَ لا يريد اليوم أن يوقف مجزرته بحقِّ الضَّحايا الأبرياء إلا بقبول الضَّحيةِ العدوانَ عليها والتنازل عن حقِّها!! إنَّهُ لأمرٌ عجيبٌ أكثر من عجيب.

الأكثر إثارةً للدَّهشة من ذَلكَ أنَّ الكيان الصهيوني قد شنَّ عدوانه الوحشي على الأبرياء في فلسطين ولم يفكِّر في توقيع مبادرة أو اتفاقيَّة على إنهاء المقاومة، كان يفكر في القضاء على المقاومة وتصفيتها بطريقته، ولٰكنَّهُ عندما أدرك عجزه

عن ذلكَ، وأدرك العرب المتواطئون ذلكَ، خرجت المبادرة المصريَّة لتنقذ الكيان الصهيوني وتقدِّم له أكثر بكثيرٍ مما كان يتوقَّع أو يرتقب أو يرجو.

إنَّ المبادرة المصريَّة إنقاذٌ للكيان الصهيوني وليست إيقافاً للعدوان. العدوان سينتهي شاء الكيان الصهيوني أم أبى، لا يمكن للكيان الصهيوني أن يستمرَّ في مجزرته وعدوانه إلى ما نهاية، وسيوقف عدوانه هٰذا ومجزرته هٰذه شاء أم أبى، إن لم يكن اليوم فغداً. فلماذا الإصرار على إلزام الفلسطينيين بقبول المبادرة وتوقيع اتفاقية التنازل.

نحن نقول إنَّ الكيان الصهيونيَّ سينهي هٰذه المجزرة ولٰكنَّهُ لن يوقف عدوانه، لأنَّ الكيان الصهيوني منذ قام إلى الآن وعدوانه على الشَّعب الفلسطيني خاصَّةً والعربي عامَّةً لم يتوقَّف على الإطلاق، ما إن يخرج الكيان الصهيوني من مجزرةٍ ضدَّ الفلسطينيين والعرب حَتَّى يشمِّرَ ليدخل في مجزرةٍ جديدةٍ، والعدوان لم يتوقَّف يوماً واحداً منذ أكثر من سبعين سنةً، أي منذ ما قبل النكبة. ولذلك لا تتوقعوا في يومٍ من الأيام أن يتوقف الكيان الصهيوني عن العدوان على الفلسطينيين والعرب، طالما هو موجودٌ على أرضنا لن يتوقف عن العدوان علينا، فلماذا نوقِّع على اتفاقيَّة وهو لا يحترم عهداً ولا اتفاقيَّة ولا معاهدةً. وهل مَنَعَت الاتفاقيات السَّابقة الكيان الصهيوني من العدوان على الفلسطينيين أو العرب؟

من السُّخف أكبر السَّخف أن نحمِّل الفلسطينيين أيَّ مسؤوليَّةٍ عن قيام الكيان الصهيوني بارتكاب مجزرته الكبيرة هٰذه، مهما كانت الأسباب والذَّرائع فإنَّ الفلسطينيين لا يتحملون أيَّ مسؤوليَّةٍ عن قيام الكيان الصهيوني بارتكاب مجزرته هٰذه لأنهم شعبٌ مُحْتَلٌّ يقوم بأدنى ما يحقُّ له القيام به للدِّفاع عن أرضه وعرضه ضدَّ الكيان الغاصب. وكل من يحمِّل الفلسطينيين أيَّ مسؤوليةٍ في قيام الكيان الصهيوني بارتكاب مجزرته هٰذه، وهي ليست الأولى ولا الوحيدة، فإنَّهُ شريكٌ في

المجزرة، ويداه والغتان في الدم الفلسطيني بما لا يقلُّ عن ولوغ اليد الصهيونية في هٰذا الدم الطاهر.

إنَّ الكيان الصهيوني هو الذي بدأ العدوان وهو الذي بدأ المجزرة وهو الذي يجب أن يتحمَّل نتائج العدوان والمجزرة من دون أيِّ تنازلٍ، من دون أيِّ اتفاقيَّةٍ لأنَّ أيَّ اتفاقيَّةٍ مع العدوان الصهيوني مرتبطةٌ على الأقل بعدوانه ومجزرته لن تعني إلا مزيداً من الاعتراف بالكيان الصهيوني، ومزيداً من تصفية القضية الفلسطينية. وسيعني ذٰلكَ على نحو مباشرٍ أننا نقول للكيان الصهيوني كلَّما أردت أن تصفِّي مقاومةً قم بمجزرةٍ من أجل أن يضغط المجتمع العربي والدولي على المعتدى عليه من أجل أن يسلِّم لك ويستسلم.

يجب أن لا نقبل بأيِّ طريقةٍ أن ينتهي العدوان الصهيوني بمكافأةٍ وتقديرٍ لجهوده من قبل العرب أو غيرهم. وإن لم يستطع المجتمع الدولي أن يفرض على العدوان الصهيوني أن يدفع الثَّمن فنحن لا نطلب من أحدٍ أن يستدَّ لنا حقوقنا سنستطيع استدادها ولو بعد حين.

رُبَّمَا لا نكون قادرين الآن على تصفية حسابنا مع الكيان الصهيوني واسترداد حقوقنا المغتصبة، ولٰكنَّ هٰذا اليوم ليس ببعيدٍ. إنَّ يوم استرداد الأرض والاستداد لشهدائنا وضحايانا وكرامتنا آتٍ وهو قريبٌ، إن هو إلا صبر يومٍ طويلٍ أو أقلَّ منه بقليلٍ. وما أدَّت إليه هٰذه المجزرة من فضحٍ وتعريةٍ تامَّة للعملاء والخونة المتآمرين على الأمَّة ومصيرها إلا أوَّل أبواب النَّصر بإذن الله. وأكرِّر ما أعلنته منذ نحو عشر سنوات في لقاءٍ تلفزيونيٍّ بأنَّ الحكام العرب حفروا قبورهم بأيديهم، والإعصار قادم.

الفصل الحادي عشر عشر

أسطورة العصر حسني مبارك

على الرَّغْمِ مما بدا أنَّهُ توبةٌ بصقها **حسني مبارك** في وجه العالم الذي هاجم سفاراته على مدار أيام العدوان الصهيو/عربي الوحشي على غزة عندما وجه دعوةً إلى الكيان الصهيوني من أجل الوقف الفوري والمباشر لإطلاق النار.

وعلى الرَّغْمِ من أن صديقه وشريكه **إيهود أولمرت** رئيس وزراء الكيان الصهيوني قد أخرج هزيمته ووقفه إطلاق النَّار من جانبٍ واحدٍ على أنَّهُ تلبيةٌ لدعوة صديقه وشريكه **حسني باراك** وأهدى له شخصيًّا وقف إطلاق النَّار هٰذا.

وعلى الرَّغْمِ من أنَّهُ كان كاذباً كذباً صريحاً في دعوته هٰذه لوقف إطلاق النار التي حاول بها أن ينقذ نفسه، كما بدا، بعدما غرق وشبع غرقاً في الانكشاف والانفضاح الذي لا غفران له بعده، فقد ألقى خطابه بعد يومٍ واحدٍ من علمه بأنَّ الكيان الصهيوني عازمٌ على وقف إطلاق النار من جانبٍ واحدٍ.

وعلى الرَّغْمِ من أنَّهُ تلقَّى ضربةً قاصمةً من أصدقائه وشركائه الصهاينة والأمريكان بنسف كلِّ جهوده لإخضاع حماس وانتزاع الموافقة منها بأيِّ طريقةٍ على إنهاء الصِّراع وعدم إطلاق الصواريخ إذ أعلن الكيان الصهيوني إيقاف العدوان من طرفٍ واحدٍ ضاربين بمبادرته التي ظلَّ متمسِّكاً بها عرض المزبلة.

على الرَّغْمِ من ذٰلكَ كلِّهِ كلِّهِ... فقد عاد **حسني مبارك** إلى حقيقته وطبيعته خلال أقلِّ من يومٍ واحدٍ.

خلال أقل من يومٍ واحدٍ من هٰذه الصَّفعة التي تعمي البصر التي تلقاها **حسني مبارك** من العدو الصهيوني عاد **حسني مبارك** ليبذل كرامته وكرامة الأمة أمام الكيان الصهيوني ويقدم له الخدمات المجانيَّة التي تفوق الخيال.

ففي حين أنَّ الكيان الصهيوني أوقف الحرب/ العدوان من طرفٍ واحدٍ ومن دون أن يستطيع الحصول على أيِّ ضمانةٍ من حماس أو اتفاقيَّةٍ أو تعهُّدٍ... بوقف المقاومة أو وقف إطلاق الصواريخ أو التسلح أو أيِّ شيءٍ من هٰذا القبيل. فقد عقد **حسني مبارك**، اليوم الأحد التاسع عشر من كانون الثاني ٢٠٠٩م، المؤتمر الذي دعا إليه أمس، وكان مؤتمراً حاشداً من الدُّول الأوروبيَّة ويقود هٰذا المؤتمر إلى مطالبة إسرائيل بوقف إطلاق النار، علماً أنَّهُ يعلم والعالم كلُّه يعلم، أنَّها أعلنت وقف إطلاق النَّار يوم أمس. ويضيف بمطالبة حماس بوقف إطلاق النار والصواريخ والقبول بمراقبة الممرات لمنع التسلح!! وهٰذا ما عجزت إسرائيل عن تحقيق بعض

بعضه من خلال عدوانها وهجمجيتها كلها وتآمر العالم كله معها من أجل إرغام حماس والمقاومة على تقديم أي تنازلٍ... جمع **حسني باراك** قادة العالم ليفرض على حماس ما عجزت إسرائيل وكل من معها عنه.

عجيب، عجيب، عجيب!!

إسرائيل أوقفت إطلاق النَّار من جانبها على نحو يشبه الإقرار بالهزيمة، ولم تستطع الحصول من حماس في ذروة الضَّغط والعدوان عليها وعلى الشَّعب الفلسطينيِّ على أيِّ تنازلٍ عن حقِّها في المقاومة والدفاع عن النفس والتسلح... وقد توقف العدوان وانتهى... ومع ذَلكَ يأتي **مبارك** ليدعوها إلى وقف إطلاق النار بعد وقف إطلاق النار، ويفرض على حماس بعد وقف إطلاق النَّار ما لم تقبل به في أثناء العدوان!!

ما طبيعته هٰذا الحسني؟!

من أيِّ طينةٍ خلق؟

من أيِّ مستودعٍ للخيانة جُمع؟

أستغفر الله أن أقول ما لا يجوز قوله، ولَكنَّهُ يستفزُّ إلى درجةٍ لا يطيق المرء معها ذاته... حَتَّى يحار المرء حيرةً تصدع رأسه وهو يحاول أن يخمِّن طبيعة هٰذا الرجل.

الكيان الصهيوني يجرُّ أذيال الخيبة منسحباً بعدما عجز عن قهر حماس، ويئس من قهر المقاومة، فأعلن وقف إطلاق النار من جانبه وحده تاركاً للمقاومة حريَّة الخيارات في إطلاق الصَّواريخ وضرب جيشه المنسحب... وبعد يومٍ كاملٍ من قرار الكيان الصهيوني وقفَ إطلاق النار يدعوه **حسني بارك** إلى وقف إطلاق النار.

أيعقل أنَّهُ لم يسمع بما حدث من وقف إطلاق النَّار أم أنَّهُ نوعٌ من التَّخريف؟

أيمكن أن يكون الرجل (بَطَّل بِجَمِّعْ) مثلاً؟

وفي حين أنَّ حماس رفضت بشدَّةٍ، وفي أوج الشِّدة أن تتنازل أو توقِّع أيَّ اتفاقيَّةٍ تجيز لأحدٍ أن يحول دون قيامها بحقِّها المشروع في مقاومة الاحتلال، أو تجيز لأحدٍ التَّدخل في شؤونها أو منعها من إطلاق الصواريخ أو التسلح أو تهريب السلاح يأتي **حسني بارك** نافشاً ريشه ليفرض على حماس وهي إن لم تكن منتصرة فهي شبه منتصرةٍ، ولَكنَّهَا ليست مهزومةً بالتأكيد، أن تقدم للكيان الصهيوني ما عجز الكيان الصهيوني عن تحصيله وهو في ذروة وحشيته وهمجية وعدوانه!!

أيعقل أنَّهُ لم يسمع بما حدث من وقف إطلاق النار أم أنَّهُ نوع من التَّخريف؟

أيعقل أنَّهُ لم يدرك أنَّ إسرائيل عجزت عن تحقيق ما يطالب حماس بتقديمه لإسرائيل؟

أيمكن أن يكون الرجل (بَطَّلَ بِجَمِّعْ) مثلاً؟

كلُّ الاحتمالات أقلُّ قدرةً عن التَّعبير عن خيانته.

الفصل الثاني عشر

مصر تحاصر غزة أكثر من إسرائيل

مصر أشدَّ من حصار إسرائيل لقطاع غزة. تعبيرٌ ليس فيه من المبالغة شيءٌ على الإطلاق. بل إنَّهُ رُبَّما أقلُّ تعبيراً عن حقيقة الأمر، فإنَّ النِّظام المصري؛ نظام **حسني باراك** منذ استلام حركة حماس السلطة وهو يحاصر الفلسطينين، وعندما أقصيت عن السُّلطة وسيطرت على غزَّة كان الحصار المصري هو الأشد والأعنف من إسرائيل بعشرات المرات. لهذه حقيقة تقرِّها إسرائيل ذاتها، ووجدنا عليها من النَّماذج الكثير جدًّا جدًّا... كيف لا وقد اضطر أهل غزة إلى حفر الأنفاق التي تصل إلى الكثير من الأميال من أجل تهريب موادهم الغذائيَّة من مصر... مصر الشقيقة.

من المتعذر حقيقةً الوقوف على كلِّ حالات الحصار وأنواعها. لقد شاهدنا كيف كان سلوك النِّظام المصري مع غزة وكيف كان مع إسرائيل. وكيف أنَّهُ أعطى

الضَّوء الأخضر لإسرائيل باجتياح غزة وارتكاب مجزرتها الشنيعة في القطاع. هٰذا ما ظهر. وما خفي بالتأكيد أعظم وأخطر.

سنقف عن بعض النَّماذج القليلة من الحصار وهي فقط منع الوفود التي تريد تقديم المساعدة لأهل القطاع من الدُّخول إلى القطاع. نبدأ بتقرير المركز الفلسطيني للإعلام ببروكسل بتاريخ ٢٠٠٨/١٠/٢٨م، الذي حمل عنوان مصر تمنع وفداً برلمانياً دولياً كبيراً من دخول غزة. جاء في التقرير:

«أدانت (الحملة الأوروبية لرفع الحصار عن غزة) بشدَّةٍ قرار السلطات المصريَّة رفض السَّماح للوفد البرلماني الدولي، الذي يضمُّ العشرات من النَّوَّاب العرب والأجانب، من دخول قطاع غزة عبر معبر رفح الحدودي الفاصل بَيْنَ مصر وقطاع غزة في بدايات الشهر المقبل (تشرين ثاني/ نوفمبر)، معتبرة ذٰلكَ مشاركةً في الحصار. واستهجن رئيس الوفد البرلماني الدولي اللورد **نظير أحمد** بشدَّةٍ رفض السُّلطات المصريَّة فتح معبر رفح أمام الوفد ليقوم بزيارة غزة، وقال في تصريحٍ صحافيٍّ له: (نستغرب وندين بشدَّةٍ قرار مصر رفضَ دخولنا إلى قطاع غزة، على رغم أنَّ الهدف من هٰذه الزيارة هو إنساني)».

وأضاف اللورد **أحمد**: «نعتقد أنَّ من حقِّ النُّوَّاب الدوليين أن يطلعوا على الأوضاع المأساويَّة في قطاع غزة، وكنَّا ننتظر من مصر التي تدعي مساعدتها الشَّعب الفلسطيني في قطاع غزَّة رفض حصاره؛ بفتح معبر رفح أمام الوفد للاطلاع على الأوضاع المأساويَّة هناك».

بدوره؛ قال الدكتور **عرفات ماضي**، رئيس الحملة الأوروبيَّة لرفع الحصار عن غزة، التي تنظِّم الزيارة، في تصريح له من بروكسيل، ردًّا على القرار المصري: «إنَّنا

نبدي استغرابنا واستهجاننا من قرار السلطات المصرية رفض السماح للوفد البرلماني الدولي المؤلَّف من ثلاثة وخمسين نائباً من مختلف أنحاء العالم، للاطلاع على الأوضاع الإنسانيَّة المأساويَّة لمليون ونصف المليون إنسانٍ فلسطينيٍّ محاصرين للسنة الثَّالثة على التوالي».

واعتبر الدكتور **ماضي** إلى أنَّ القرار المصري هو بمنزلة «مشاركةٍ فعليَّةٍ في الحصار الخانق المفروض على قطاع غزة، والمشدد منذ ستة عشر شهراً، والذي أودى بحياة أكثر من مئتين وخمسة وخمسين مريضاً فلسطينياً حَتَّى الآن». وأضاف: «إذا كانت السلطات الإسرائيليَّة ستسمح في نهاية هٰذا الشَّهر لوفد من البرلماني الأوروبي بزيارة قطاع غزة المحاصر وفي المقابل تمنع مصر وفداً برلمانيًّا دوليًّا ضخماً؛ فإنَّ ذٰلكَ يعني أنَّ مصر تشدِّد الخناق على الفلسطينيين أكثر مما تشدِّده السُّلطات الإسرائيليَّة».

لسنا وليس الوفد مضطرين لتأكيد أنَّ مهمَّة الوفد إنسانيَّةٌ خالصةٌ بعيداً كلَّ البعد عن الأغراض السياسيَّة والعسكريَّة. ومع ذٰلكَ أكَّد رئيس الحملة في تصريحه أنَّ مهمة الوفد كانت إنسانيَّة بعيدةً كلَّ البعد عن أيِّ هدفٍ سياسيٍّ، وقال: «إنَّ الزيارة البرلمانيَّة كان هدفها الوقوف على معاناة شعبٍ محاصرٍ في أوضاع مأساويةٍ، خاصَّةً في ظلِّ ارتفاع حالات وفاة المرضى جرَّاء نفاد الأدوية ومنعهم من السَّفر لتلقي العلاج، إذ كان من المقرَّر أن يقوم الوفد بزيارة القطاعات الصحيَّة والتعليميَّة للاطلاع على آثار الحصار في مختلف نواحي الحياة هناك».

بقي أن نختم هنا أنَّ هٰذا الوفد البرلماني الدولي مكوَّن من ثلاثة وخمسين نائباً هم من بريطانيا وأيرلندا والسويد واليونان وإيطاليا وسويسرا

واسكتلندا والبرلمان الأوروبي وغيرها وكذلكَ من دول شمال أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ومن الدول العربية كالسعودية والجزائر والكويت واليمن والأردن والسودان ومصر.

في ٢٠٠٩/٣/٩م، منعت السلطات المصريَّة ٨٥ بريطانيًّا وصلوا أول أمس جوًّا من بريطانيا، من الدُّخول إلى ساحة معبر رفح.

في ١١/٥/ ٢٠٠٩م، استنكرت اللجنة الحكومية لكسر الحصار واستقبال الوفود الفلسطينيَّة منع السُّلطات المصريَّة وفدًا طبيًّا بريطانيًّا من دخول قطاع غزة منذ خمسة أيَّام. علماً أنَّ هٰذا الوفد الطبي البريطانى موجودٌ حاليًّا في مدينة العريش على أمل السَّماح له بدخول قطاع غزة. وذكر البيان أنَّ الوفد الطبي يضمُّ اثني عشر طبيباً بريطاني الجنسيَّة ومن أصول متعددةٍ، ويعدُّ الوفد الطبي الثاني من نوعه الذي تقوم المؤسسة العالمية للعون الطبي (بيما فلسطين) بإرساله إلى قطاع غزة. وأشار إلى أنَّ الوفد الطبيَّ الذي يضمُّ أطباء استشاريين في مجالات متعدِّدَةٍ، يحمل معه عددًا من المعدَّات الطبية الضروريَّة إلى المشافي في قطاع غزة، إضافةً إلى كميَّةٍ من الأدوية التى لمس وفدها الأول وجود حاجةٍ ماسَّة إليها فى القطاع. وبيَّنَ أنَّ الوفد الذي غادر بريطانيا يوم السَّبت الماضي ما زال حَتَّى اللحظة يقف على بوابة معبر رفح من دون السَّماح له بالدخول، على رغم التزامه بالإجراءات اللازمة كلها مع الجهات المختصة. ودعا البيان السُّلطات المصريَّة إلى السَّماح للوفد بدخول قطاع غزة ليقدِّم خدماته الصحيَّة والإنسانيَّة إلى المرضى والمواطنين المحاصَرين منذ ثلاث سنوات.

في ٢٠٠٩/٥/٢٥م، قالت مصادر في اللجنة الحكوميَّة لكسر الحصار في قطاع غزة اليوم الاثنين: إنَّ المشاركين في (قافلة الأمل) الأوروبيَّة التَّضامنيَّة التي

منعت السُّلطاتُ المصريَّة دخولها قطاعَ غزة عبر معبر رفح البري قرَّروا الاعتصامَ والانتظارَ على المعبر حَتَّى يسمح لهم بالمرور.

قبل هٰذه النَّماذج وبعد هٰذه النَّماذج هناك الكثيرُ جدًّا جدًّا من الإجراءات الحصاريَّة... هٰذه النَّماذج التي تعامل بها النِّظام المصريُّ مع الأجانب الذين أرادوا مساعدة أهل غزة، فكيف تعامل مع الفلسطينيين أنفسهم أو المصرين الذين أرادوا فكَّ الحصار؟؟؟ وكيف سيكون الذي ستتفتَّقُ به قريحته في قادم الأيام لخدمة أسياده الصَّهاينة؟

انتظروا فكلُّ آتٍ قريب.

دمشق ٢٠٠٩/٦/٩م.

الفصل الثالث عشر

أولاد بشر وأولاد كلاب!!

ظلَّت مصرُ تغلق المعابر على غزة... واليوم فتحت المعبر لتستقبل الجثث والجرحى...!!

منذ صباح اليوم السبت ٢٧ كانون الأول ٢٠٠٨م باشرت القوات الصهيونيَّة مجزرةً في غزَّة كانت تعدُّ لها علناً، وعلى علم العالم كلِّه، منذ أسابيع. منذ أسابيع وهي تعلن أنَّها ستجتاح غزة، أي إنَّها سترتكب مجزرةً كبيرةً ليست صغيرةً، أي إنَّها قصَّة مجزرةٍ معلنةٍ، ومع ذَلكَ لم يتحرَّك أحدٌ في العالم، حَتَّى العرب، ولم يتخذ أحدٌ أيَّ إجراءٍ، ولا تهديدٍ ولا وعيدٍ...

وقعت المجزرة اليوم والعالم يتابع بصمت وربَّمَا بإعجابٍ وتقديرٍ. الإعلام الغربي يتحدث عن حقِّ الصَّهاينة في الدفاع عن أنفسهم. لقد طالب الفرنسيون والأمريكان منذ أيام بإدانة صواريخ القسام التي يعترف الكيان الصهيوني ذاته أنَّها بدائيَّة لا تفعل شيئاً، وهي منذ بدء إطلاقها لم تقتل شخصاً واحداً، اللهم إلا اليوم في الرَّد المكثَّف على المجزرة أدت لهذه الصواريخ إلى قتل مغتصبٍ صهيونيٍّ.

قتل لهذا الصهيوني جاء في الرد على المجزرة التي أدت حَتَّى كتابة لهذه السطور إلى استشهاد ١٥٥ شهيداً، وأكثر من مئتي جريح. ومع ذَلكَ نجد بداية أنَّ السلطة الفلسطينية التي يفترض بها أن تكون هي المقاوم للاحتلال هي التي تدين صورايخ القسَّام، والدول العربيَّة صامتةٌ صمتاً مريباً... فماذا ننتظر من الغرب عامَّة وهو أصلاً لا يرى المجازر الصهيونيَّة ويرى الحجر الذي يطلقه الفلسطيني صاروخاً.

المجزرة أيُّ مجزرةٍ بشعةٌ، ولٰكنَّ المجازر الصهيونية عامَّة، ومنها مجزرة اليوم، مجازر تنطوي على حقدٍ ووحشيَّة لا مثيل لها في تاريخ البشريَّة. على الأقل فيما ظهر من تاريخ البشرية، ولا نحكم على قادم الأيام. ولكنَّنا نؤكِّد أنَّ الصهاينة وحدهم ومن في حكمهم يفكرون بهٰذه الطريقة من الحقد والوحشية.

لقد اختار جيش الاحتلال الصهيوني ساعة الذروة لتنفيذ مجزرته البشعة، اختار ساعة ذهاب الطلاب إلى المدارس والناس إلى أعمالهم وبدأ قصفه الصاروخي المكثف فقتل من قتل وجرح من جرح، وأكمل دائرة حقده البشع إذ انتظر حَتَّى تجمهر النَّاس في أماكن القصف وأعاد قصف الصَّواريخ على أماكن تجمهر الناس من أجل إنقاذ الجرحى والمصابين، وكرَّر الكيان الصهيوني.

سيقولون إنَّ مصر نـدَّدت والاتحـاد الأوروبي دعـا إلى وقـف العـدوان. فرحـة عارمة يجب أن تتملكنا من أن تكون مصر أدانت والاتحاد الأوروبي دعا إلى وقف إطلاق النار. ولٰكنَّ المشكلة أبعد من ذٰلكَ وأخطر. لا شكَّ في أنَّ الصُّورة أخطر من ذٰلكَ بكثيرٍ. وهٰذه هي الحقيقة الواقعة، فإذا تركنا الصُّورة النَّمطيَّة للعربي عامَّة في الإعلام الغربي وبَيْنَ الغربيين بسبب وسائل الإعلام، وانتقلنا فقط مشهد المجزرة الذي يفترض أنَّ كلَّ الفضائيات العالميَّة قد غطَّته على نحوٍ متقارب؛ وأنَّ الشعب الغربي يجب أن يكون قد حصل على جزءٍ من صورة المجزرة تتيح له أن يعرف شيئاً ولو قليلاً عن حقيقة ما يحدث، وجدنا أن كلَّ ما يعرفه الغربيون عن هٰذه الحرب العدوانيَّة هي أنَّ حماس تعتدي باستمرار على إسرائيل بصواريخ القسَّام، وأنَّ حماس تعتدي على المدنيين قتلاً وترويعاً... في حين أنَّ الكيان الصهيوني يقف موقف المدافع عن نفسه، المسكين الذي لا حول له ولا قوة أمام وحشية حزب الله.

لذٰلك لم نجد أبداً من الغربيين من يستغرب الصَّمت الدُّولي المخزي على المجزرة الصهيونية بحق القطاع، ولم نجد من يستغرب أن تكون ردَّة العفل الدولية على المجزرة بأنها حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها، ويطالب الجميع حماس بوقف إطلاق الصواريخ. الإجماع الدُّولي قائم على إدانة الفلسطينيين وتقدير جهود الكيان الصهيوني في الدِّفاع عن نفسه ضدَّ الوحشيَّة الفلسطينيَّة!!

مع كلِّ هٰذا التَّناقض مع الواقع لم نجد من الغربيين من يعترض ليقول إنَّ الحقيقة عكس ذٰلكَ، لا من السِّياسيين ولا من صغار المسؤولين ولا من كبارهم، ولا من صغار المواطنين ولا من كبارهم... الكلُّ متَّفقون على أنَّ هٰذه هي الحقيقة. أما الاستثناءات النَّادرة فهي لأنَّهَا استعملت عقلها منذ زمن وصلت إلى الحقيقة والتزمتها ضمن حدود تشكر عليها على أيِّ حالٍ. ولكِنَّهَا من النُّدرة ما يجعلها

عاجزةً عن الفعل، ومحاصرة إلى الحد الذي يحول دون قدرتها على الفعل أو التأثير في الشارع الغربيِّ.

الصَّوت الوحيد الذي يجب أن يظهر هو الصُّورة النَّمطية للعرب: مهما فعلوا فهم مدانون؛ إذا صلَّوا فهم مدانون، وإذا كفروا مدانون، وإذا كرهوا الغرب مدانون وإذا أحبُّوا الغرب مدانون، وإذا حاربوا مدانون وإذا استسلموا مدانون... حصارهم واعتقالهم ضرورةٌ أمنيَّةٌ، وقتلهم واجبٌ أخلاقيٌّ إنسانيٌّ.

أمَّا الغرب فمهما فعل فهو على حقٍّ: إذا آمن فهو على صوابٍ وإذا كفر فهذه حريَّته، إذا اعتدى على غيره فهو على حقٍّ وإذا قتل فهو على حقٍّ وإذا ارتكب المجازر فهو غير مخطئٍ... ومن يجرح شعور أيِّ غربيٍّ فهو مجرمٌ يجب نسفه... ألم تسمعوا أبداً في أيِّ فيلمٍ أمريكيٍّ قول الأمريكيين لمن يريد أن يؤذيهم: نحن أمريكيون لا تستطيعون أسرنا، نحن أمريكيون لا تستطيعون سجننا، نحن أمريكيون لا تستطيعون قتلنا... وكأنَّ الأمريكي أَو الغربي فوق قوانين الطَّبيعة وفوق قوانين الألوهة!! وكأنَّ الغربيين أولاد البشر وغير الغربيين أولاد الكلاب.

الفصل الرابع عشر

أسطورة فتح معبر فح!!

في هٰذا اليوم السبت ٢٠٠٩/١/١٧م، وهو اليوم الثاني والعشرين من ارتكاب المجزرة الصهيونيَّة، هٰذا اليوم الذي أعلن فيه الكيان الصهيوني أنَّهُ عازمٌ على إيقاف العمليَّات العسكريَّة الصهيونيَّة من جانبٍ واحدٍ، ألقى الرئيس **حسني مبارك** خطاباً مختصراً أراد فيه أن يزعم أن مصر تقف مع الشَّعب الفلسطيني، وأنَّ وأنَّ... وجاء في هٰذا الخطاب كلامٌ كرَّره أزلامه وعلى رأسهم **أبو الغائط** قوله: «إنَّ مصر فتحت معبر رفح منذ بداية العدوان».

نعلم الكثير من أنواعِ الفجور والعهر ولكنَّنا قط لم نعرف مثل هٰذا العهر والفجور. فعلى من يكذب وعلى من يضحك؟!

العالم كلُّه كان على معبر رفح عند بدء العدوان الصهيوني على غزَّة، وكانت المظاهرات كلُّها تنديداً بمصر لا بإسرائيل لأنَّ مصر لم تفتح المعبر، ولم تسمح بدخول الأدوية ولم تسمح بخروج الجرحى...

عدَّة أيام مضت من دون أن تستجيب مصر لكلِّ الضُّغوط الشَّعبيَّة العربيَّة والعالميَّة، ولا للرجاءات الفلسطينية، ومع ذَلكَ أسمعتَ لو ناديت حيًّا، ولٰكن لا حياة لمن تنادي.

لم يُفتح المعبر، وظلَّ الضَّغط المصريُّ والحصار المصريُّ لمعبر رفح أشد من الحصار الذي فرضه الكيان الصهيوني. وعندما فُتح المعبر فتح الباب ولم يسمح بدخول المساعدات لا الغذائية ولا الدوائيَّة... والعالم كلُّه شهد على ذَلكَ ونقله بالصوت الصورة:

لقد نقل العالم كلُّه عودة الطائرات التي أرسلتها قطر وليبيا وإيران وغيرها إلى بلادها لعدم سماح المصريين لها بنقل حمولات المساعدة الغذائيَّة والطبيَّة إلى غزة.

لقد شهد العالم كلُّه موت عددٍ من الجرحى على معبر رفح لعدم سماح المصريين لهم بالدُّخول إلى مصر للعلاج.

ولقد شهد العالم كلُّه احتجاجات الأطباء المصرين على الحكومة المصريَّة التي تمنعهم من الدُّخول إلى فلسطين من أجل مساعدة الجرحى على الرَّغْمِ من أَنَّهُم وقعوا تعهُّدات بأنهم يدخلون إلى غزَّة على مسؤوليتهم بعد أن زعم النَّظام المصري أنَّهُ يمنعهم من الدخول خوفاً عليهم.

لقد شهد العالم كلُّه كيف أنَّ المعبر المفتوح كان مفتوحاً شكليًّا لا فعليًّا لأنَّ الشَّاحنات التي تنقل الأدوية والأغذية كانت تقف عشرات السَّاعات على المعبر من دون أن يسمح لها بالدخول وعلى رأسها المساعدات المصرية، المساعدات التي

أرسلها الشَّعب المصري... لقد كانت تفرغ حمولات الشَّاحنات علبةً علبةً وتنقل إلى الطَّرف الفلسطينيِّ علبةً علبةً بالأيدي في عمليةٍ عجيبةٍ تنطوي على الإذلال الشَّديد للمتبرعين والناقلين والمنقول إليه.

إذا تركنا المحطَّات التلفزيونية التي نقلت كلَّ ذَلكَ، وقلنا إنها تركِّب الصور، كما تفعل قناة العربيَّة ولكن لتشويه المقاومة، تعالوا نسمع ما قاله **مبارك** ذاته بلسانه وصوته وصورته وليس أحداً آخر.

عندما كثرت الاحتجاجات على السُّلوك المصريِّ المشين خرج علينا الرئيس **مبارك** ووزيره العتيد **أبو الغيط** معاً ليعلنا أنَّها يطلبان من الدول التي ترسل طائرات المساعدة أن ترسلها إلى مطار تل أبيب.

الله أكبر... الله أكبر... بكلِّ الوقاحة والصَّفاقة يكون مثل هٰذا الطَّلب. تخيلوا أنَّ مصر تريد من الدُّول التي ترسل مساعدات إلى أهل غزة أن ترسلها إلى الكيان الصهيوني الذي يقوم بالمجزرة ضدَّ أهل غزة، ويحتل فلسطين!!

كيف أمكن للنِّظام المصريِّ أن يطلب مثل هٰذا الطَّلب؟

كيف تجرأ **حسني مبارك** أن يطلب من الدول التي تريد أن تساعد أهل غزة أن تذهب إلى الكيان الصهيوني الذي يبيد أهل غزة وهو يعلم أنَّ معظم المساعدات تأتي من دول لا تعترف بالكيان الصهيوني ولا تقيم علاقات معه، ناهيك عن أنَّهُ حَتَّى ولو كانت هٰذه الدول التي ترسل المساعدات تعترف بالكيان الصهيوني فإنَّ إرسال المساعدات إلى أهل غزة عن طريق الكيان الصهيوني الذي يقوم بالمجزرة ضدَّ أهل غزة هو ذاته جريمةٌ لا تقلُّ عن جريمة الكيان الصهيونيِّ!!

الله أكبر... الله أكبر على من طغى وتجبر.

كيف استقام ذلك معك يا **حسني مبارك** كيف استقام؟!!

كانت الذَّريعة عقيمةً صفيقةً ولذلك لاقت الكثير من الاستهجان، فعاد إلينا **مبارك** ليوضح السَّبب ويا ليته لم يحاول تقديم العذر لأنَّهُ جاء بعذرٍ أقبح من ذنبٍ، بل أقبح من كلِّ الذنوب التي يمكن أن تخطر في بال بشر، لقد قال **حسني مبارك** بلسانه شخصيًّا وليس بلسانٍ أحد غيره: «نحن لا ندخل المساعدات لأنَّ غزة بلدٌ محتلٌّ، ومن حقِّ المحتل أن يفتش المساعدات.. (چايز) يكون فيها أسلحة!!».

لا حول ولا قوة إلا بالله.

ما الذي يمكن أن نقوله في العذر الذي قدمه رئيس أكبر دولة عربية لعدم سماحه بدخول المساعدات الطِّبية إلى أبناء شعبه هو لا أبناء شب آخر؟!

أسعفونا بوصف، أسعفونا بعبارة مناسبة؟

خرج الاحتلال من غزة خروجاً تاماً منذ أكثر من عقد ونصف، ومع ذَلكَ لم يسمع **حسني مبارك** زعيم أكبر دولة عربية، وزعيم الدولة الوحيدة المجاورة لغزة، أنَّ غزة ليست بلداً محتلاً.

لم يعلم **حسني مبارك** بعد ثلاثين سنةٍ من رئاسة مصر أنَّ أهل غزة هم أبناء بلده وليسوا أبناء شوارع، وليسوا أبناء بلد آخر غريب.

ولم يعلم أنَّ من واجبه الإنساني أن يساعد شبعاً يتعرَّض لعدوان حَتَّى ولو كان شعباً غريباً فكيف إذا كان شعبه.

وعلى الرَّغْمِ من ذَلكَ سنفترض أنَّ غزة بلدٌ محتلٌّ. ألم يعلم **حسني مبارك** أنَّ مقاومة الاحتلال أبسط الحقوق المشروعة بل الواجبة على من وقع عليهم الاحتلال؟

هل يوجد أحمقٌ أو عاقلٌ في العالم ينكر حقَّ المقاومة، فمن أين أتى بأنَّ من حقِّ الكيان الصهيوني الذي يحتلُّ فلسطين أن يفتش المساعدات حَتَّى لا يكون فيها أسلحة؟!

إنَّ المنطق الذي لا يحتاج إلى كثير بداهةٍ يقول إنَّ واجب مصر الأول هو تقديم الأسلحة علناً لا سرًّا إلى المقاومة من أجل الصمود ومقاومة الاحتلال. ومع ذَلكَ قبلنا ألا تقوم مصر بهٰذا الدور. أمَّا أن يدعو إسرائيل إلى تفتيش المساعدات حَتَّى تعرف ماذا يوجد فيها وتمنع دخول الأسلحة إلى المقاومة فهٰذا ما لا أستطيع فهمه.

ومع ذَلكَ كلِّه يقول الرئيس العتيد إنَّ المعبر كان مفتوحاً طيلة العدوان. فمن يمكن أن يصدِّق ذَلكَ يا ترى؟ من ذا الذي سيصدقه وقد رأينا بأمِّ أعيننا كلَّ ما يدحض ذَلكَ ويكذبه؟

☆ ☆ ☆

الفصل الخامس عشر

مبارك يعقد قمة!!

مع إعلان الكيان الصهيوني عزمه على إيقاف العمليَّات العسكريَّة، أي إيقاف عدوانه الغاشم الوحشي على أهلنا في غزَّة، في اليوم الثَّاني والعشرين من بدء المجزرة نهض الرئيس المصري **حسني مبارك** وأخذه الحماس وبدأ يغدق بالمشاريع والتَّصريحات.

في خطابه ظُهر اليوم السبت السابع عشر من كانون الثاني ٢٠٠٩م أعلن أنَّهُ سيدعو لعقد مؤتمر للدول المانحة للنَّظر في إعمار غزَّة بعد انتهاء العدوان. وما هي إلا ساعات حَتَّى وجهت الدَّعوات إلى الدول الأوروبيَّة وشريكه **محمود**

عباس، مع تغييب حماس والمقاومة عن الاجتماع في شرم الشيخ للنظر في تداعيات ما سمَّاه **مبارك** نهاية الأعمال العسكرية في غزة.

بغضِّ النَّظر عن أنَّهُ لم يسمِّ ذَلكَ مجزرةً، وعن أنَّهُ وإن استخدم لفظ العدوان فقد استخدمه على حياءٍ وخجلٍ، فإنَّ في دعوته هٰذه ما يدعو إلى التَّساؤل والوقوف وقفةٍ مطولةٍ من التَّفكير والمناقشة، لأنَّها دعوةٌ تنطوي على الكثير من الأفكار الخطيرة.

أوَّل ما يجب الوقوف عنده هو لماذا هٰذه النَّخوة بعدما كان ما كان من العدوان الذي قلَّ نظيرة في التَّاريخ؟

لماذا هٰذه النَّخوة والهمَّة التي علَّت فجأةً، ولماذا صارت الدَّعوة إلى عقد قمَّةٍ أمراً ممكناً وسهلاً؟

منذ اليوم الأوَّل دعت سوريا وقطر إلى عقد قمَّةٍ عربيَّةٍ طارئةٍ للنَّظر في المجزرة الصهيونيَّة واتخاذ الإجراءات اللازمة لإيقاف هٰذه المجزرة، وقد وقف **حسني مبارك** بحزمٍ وشدَّةٍ أمام عقد هٰذه القمَّة، وحارب من يدعو إليها، وعدَّ عقدها خيانةً، وخطراً، وداعياً للانقسام العربي العربي، وتكريساً للانقسام الفلسطيني الفلسطيني، وكلَّما اقترب عدد الموافقين من النِّصاب اللازم لعقد القمَّة تدخَّل النسناس **عمرو موسى**، **وعموره** يحتاج إلى وقفة خاصَّة، فكذَّبَ وَمَنَعَ بعض الدُّول من حضور القمة بزعم أنَّ النِّصاب لم يكتمل.

واستمرَّ العمل على عقد القمة حَتَّى دعا الرَّئيس السُّوري والأمير القطري إلى عقد قمَّةٍ بمن حضر، ومع ذَلكَ ظلَّ الرئيس **حسني مبارك** وطاقمه من أزلامه، بالتَّعاون مع السُّعودية، مصرين على منع عقد هٰذه القمَّة بأيِّ طريقةٍ.

من أطرف ما كان من مزاعم لعدم عقد القمة دعوة مصر والسُّعودية إلى أنَّ يكون هناك اجتماع تشاوري على هامش المؤتمر الاقتصادي العربيِّ الذي سيعقد في الكويت...

أراد **مبارك** أن تناقش المجزرة الصهيونية على هامش مناقشة أسعار النِّفط والغاز وكأنَّ دماء الفلسطينيين المسفوكة في غزَّة نوعٌ من عصير البندورة أو الجزر!! كأنَّ عقد من أجل مناقشة المجزرة الصهيونيَّة أمرٌ أكبر بكثير مما تستحقُّهُ الدِّماء الفلسطينيَّة العربيَّة، ولذلك لا يجوز أن تناقش المجزرة إلا تشاوريًّا وعلى هامش قمَّةٍ اقتصاديَّةٍ مقرَّرة منذ أكثر من سنة.

أمرٌ غريبٌ، ولٰكنَّ الغرابة لا تتوقَّف هنا. لأنَّ النظام المصري ظلَّ يتحفنا بالمفاجأة تلو المفاجأة. فما إن أحبطت القمة الطارئة تماماً، وكثر الضَّغط على القمَّة بمن حضر، حَتَّى أعلن أمير قطر عن دعوةٍ لحضور قمَّةٍ في الدَّوحة لمناقشة المجزرة والإجراءات التي يمكن اتخاذها، وحدَّد الجمعة السَّادس عشر من كانون الثاني ٢٠٠٩م موعداً لها بغضِّ النَّظر عن أيِّ نصابٍ، من أراد أن يحضر يحضر. ومع ذٰلكَ ظلَّ الهجوم المصريُّ العلنيُّ على القمَّة شديداً على كلِّ الجبهات، فيما كان الهجوم السُّعوديُّ شبه سريٍّ في البداية.

كانت الذريعة التي كرَّرها **مبارك وأبو الغيط** وأزلامهما لمنع عقد القمَّة، ولتسويغ عدم المشاركة في القمَّة أنَّ القمَّة تحتاج إلى تخطيطٍ ودراسةٍ. وكأنَّهُم سيجتمعون من أجل نقل القارَّة الأمريكيَّة من أقصى الأطلسي إلى جوار عدن.

وتابع النِّظام المصريُّ على لسان **أبو الغيط** خاصَّةً بأنَّ: عقد هٰذه القمَّة سيؤثِّر سلباً في قمة الكويت التي رُتِّبَ لها منذ عامٍ.

أن تعلق على ما لا يحتاج إلى تعليق يبدو وكأنَّك تشك في القارئ ولذلك أعتذر عن التَّعليق لأنَّ كلَّ ما سبق لا يحتاج إلى تعليقٍ. ولٰكن نحن نذكِّر أكثر مما نعلق، فسيقرأ هٰذا الكلام أناسٌ لم يعيشوا هٰذا الواقع ليشعروا بما نشعر به من مضض على مضض على مضض... ورُبَّما لا يصدقون ذٰلكَ لما فيه من خرقٍ لكلِّ قوانين العقل والمنطق والأخلاق وسائر القيم... ورُبَّما يكون حكام المستقبل أشد قذارةً من هؤلاء فيترحمون على أيام هؤلاء الخونة... من يدري ماذا سيكون؟

لقد اجتمع القادة الأوروبيون بعد ثلاثة أيَّام من المجزرة من دون تخطيط أو دراسةٍ أو تشاورٍ، وغزة لا تعني الأوروبيين بشيءٍ، على الأقل مقارنة بمصر والعالم العربي كلِّهِ... ومع ذٰلكَ لم يستطيعوا الانتظار للتَّشاور والمباحثة. أمَّا مصر ومعها السُّعودية فهما لا تريدان عقد قمَّة إلا بعد قتلها تشاوراً... ورُبَّمَا بعد قتل كلِّ الشَّعب الفلسطيني.

هٰذا الرفض والعرقلة ليس لأنَّ قمَّة الدَّوحة جاءت بدعوةٍ من سوريا وقطر، ولا لأنَّ سوريا محسوبة بَيْنَ دول الممانعة للكيان الصهيوني والسياسة الأمريكيَّة، ولٰكنَّ الرفض جاء من أجل تكريس الانقسام، ويزعمون أنَّ قمَّة مثل هٰذه ستؤدِّي إلى الشَّرخ والانقسام وتحتاج إلى البحث والدراسة... أمَّا القمَّة الخليجيَّة التي دعت إليها السُّعودية فجأةً لتنعقد يوم الخميس، أي قبل قمة الدَّوحة بيومٍ واحدٍ، وكانت الدَّعوة لعقدها يوم الأربعاء... فهي قمَّةٌ لا تحتاج إلى دراسةٍ ولا إلى تخطيطٍ، لأنَّها في الحقيقة معروفة النَّتائج والغايات مسبقاً، وغايتها الصَّريحة مهما أنكروا هي عرقلة قمَّة الدَّوحة والمضاربة عليها، وتكريس الانقسام العربي العربي... إلا من رحم ربي ولا أظنه بينهم، حكَّام العرب هم من يقود العرب إلى أبشع نهاية.

لم يعلق النِّظام المصريُّ على هٰذه القمة على الإطلاق، لماذا لم ير فيها عدم تخطيطٍ، ولماذا لم ير أنَّها ستعيق قمَّة الكويت...؟

ويتحفنا **حسني مبارك** ونظامه بمفاجأةٍ أخرى جديدةٍ وهي دعوته المفاجئة لعقد قمَّة في شرم الشَّيخ يوم الأحد التاسع عشر من كانون الثاني ٢٠٠٩م، أي قبل يوم واحدٍ من قمَّة الكويت!! ودعا لحضورها الدول الأوروبيَّة و**محمود عباس** والعاهل الأردني الذي عجز عن الذَّهاب إلى الدوحة ولا ندري لماذا.

هنا يؤكِّد **حسني مبارك** عبقريته، فهو يستطيع أن يعقد القمم من دون تخطيط، ومن دون تأثير في قمَّة الكويت التي ستعقد في اليوم التالي.

الحقيقة ليست هٰذا ولا ذاك. الحقيقة هي أنَّهُ ما إن تقرَّر عقد القمة بمن حضر لمن يدينون العدوان حَتَّى جنَّ جنون أصدقاء الكيان الصهيوني وراحوا يضعون العصيَّ في العجلات ويسعون إلى عرقلتها بكلِّ ما أمكنهم من القدرات والطَّاقات والأساليب...

ولأنَّ قمَّة الدَّوحة حملت مقترحاتها إلى قمَّة الكويت المقرَّرة أصلاً قبل أكثر من سنة، هب **حسني مبارك** ليضع ليعرقل وصول هٰذه القمة إلى أيِّ نتيجة.

عقد القمة في شرم الشيخ ليس دعماً لغزَّة وإنَّمَا للإجهاز عليها بعد أن ينتهي الكيان الصهيوني من تدميرها. وقد أعلن **مبارك** ذٰلكَ في الخطاب ذاته إذ قال إِنَّهُ يريد تحقيق الأمن للفلسطينيين والإسرائيليين... يريد ضمان الأمن للإسرائيليين، وهو ما عجز عنه الصهاينة أنفسهم في عدوانهم هٰذا.

ما عجز عنه **أولمرت وباراك وليفني** من هٰذا العدوان والمجزرة يريد **حسني باراك** تحقيقه لهم بذاته...

من لم يصدق فليعد إلى الخطاب وليتأكد.

فمن ذا الذي سيشكرك يا **حسني؟**

ولٰكنَّ السُّؤال الذي لا بدَّ من طرحه هو: هل يستحي **مبارك** مناقشة مجزرة غزة مع العرب وقد رفض أيَّ نقاشٍ مع العرب في ذٰلكَ، حَتَّى يناقشها مع الأوروبيين وهم الذين أوجدوا إسرائيل وما زالوا يحمونها ويدافعون عنها؟

لا أذيع سراً إذا قلت إنه يريد استمرار محاربة حماس وحصارها وتهميشها من خلال توجيه الدول المانحة إلى التعامل مع **عباس** فقط، وجعل **عباس** وصياً على غزة وحماس، **عباس** الذي خطط مع إسرائيل للعودة إلى غزة على الدبابات الصهيونية... الدول المانحة ستفعل ذٰلكَ، ولٰكنَّهُ يريد التَّأكيد والتَّذكير فرُبَّما اندفعت دولةٌ من دون أن تدري وقدَّمت لحماس شيئاً... الحماس يفعل العجائب.

الفصل السادس عشر

حسني باراك يشن هجومه

عندما أعلن الكيان الصهيوني أنَّهُ يمكن أو يوشك أن يقرِّر إيقاف إطلاق النَّار من طرفٍ واحدٍ خرج علينا **حسني** زعيم أكبر دولة عربية إمكانات وأسوأها فعلاً ليستثمر هٰذا الوهن أو مشروع القرار الصهيوني ويجعل من نفسه بطلاً تاريخيًّا باستغباء ملايين البشر الذي هاجموا السَّفارات المصرية ولم يهاجموا السَّفارات الإسرائيلية احتجاجاً على دوره الخياني الكبير.

ما إن سمع **حسني مبارك** بمشروع القرار هٰذا حَتَّى استنفر جيشه من المستشارين ليدبجوا له خطاباً يحوِّله إلى بطلٍ في نظر الجماهير العربيَّة والإسلاميَّة فخرج الخطاب كبقع الزَّيت كل بقعةٍ بلونٍ وكل بقعةٍ بأسلوبٍ وكل بقعةٍ تحاول نسف حقيقة من الحقائق التي فضحت سلوك النِّظام المصري، ولٰكنَّهَا، أي بقع

الخطاب الزيتية لهذه، تصدمنا بكلِّ حقيقةٍ من هذه الحقائق صدماً يصدع الرأس أو يشقه نصفين.

أوَّل ما يلفت الانتباه في خطاب الرئيس المصري **حسني مبارك**، وكلُّهُ ملفتٌ للانتباه، وكلُّه يستحقُّ الوقوف عنده، هو شنه هجوماً على إسرائيل مطالباً إياها بوقف إطلاق النَّار معلناً ذَلكَ بقوله: «إني أطالب إسرائيل بالوقف الفوريِّ لإطلاق النَّار».

وأخيراً طالب **حسونة** بوقف إطلاق النار، في هذا اليوم الثاني والعشرين من بدء المجزرة التي ما زالت مستمرَّةً، واليوم هو السبت ٢٠٠٩/١/١٧م. احتاج إلى ثلاثة أسابيع كاملة تامَّة، واحتاج إلى أكثر من ألف ومئتي شهيد أكثر من نصفهم من الأطفال والنساء، ونحو ستة آلاف جريح نحو ثلثيهم من الأطفال والنساء، واحتاج إلى تدمير أكثر من نصف غزة تدميراً مروعاً... احتاج إلى كلِّ ذَلكَ حَتَّى ينهض ويطالب أصدقاءه في الكيان الصهيوني بوقف إطلاق النار.

طيلة أيَّام المجزرة الوحشيَّة الفائقة لكلِّ وحشيةٍ كان **حسني مبارك** يهاجم حماس والمقاومة ويقترح المقترحات للقضاء على المقاومة، ويناصر إسرائيل ويؤيِّدها في عدوانها ومجزرتها، واليوم يطلب من الكيان الصهيوني أن يوقف إطلاق النار.

ولكنَّ الذي يدعو إلى الأسف شديد الأسف أكثر من كلِّ ما مضى هو أنَّ السِّي **مبارك** لم يعلن ذَلكَ إلا عندما أعلن الكيان الصهيوني أنَّهُ يوشك أو عازم على وقف إطلاق النار من طرفٍ واحدٍ.

ومثلما لم يقم هو شخصيًّا، طيلة العدوان الغاشم، بأيِّ مطالبةٍ للكيان الصهيوني بوقف إطلاق النَّار، كذَلكَ لم يفعل أيٌّ من أتباعه وأزلامه. ومثلما حاول هو شخصيًّا تحويل الموقف المصري إلى موقفٍ بطوليٍّ بعد اكتمال المجزرة تبعه أتباعه

وأزلامه بمحاولة الظهور بالمظهر البطوليِّ بعد أن دمَّر الكيان الصهيوني غزة وكاد يبيد من فيها.

لم يكتف **مبارك** بذلك بل راح يكرِّر عبارات المقاومة التي كان يهاجمها ويحاربها طيلة فترة العدوان، فبعد أن أعلن **مبارك** للرئيس الفرنسي **ساركوزي** أنَّه لا يقبل أن تنتهي الحرب من دون القضاء على حماس والمقاومة، وقام **ساركوزي** بإبلاغ الكيان الصهيوني ذَلكَ ونشرته الصَّحافة الصهيونيَّة. وبعد أن قدَّم مبادرةً لم تخطر في بال الكيان الصهيوني تقوم على القضاء على المقاومة الفلسطينيَّة بإرادة المقاومة الفلسطينية، وبعد أن كرَّر **مبارك** وأزلامه غير مرَّةٍ أنَّ على حماس أن تدفع الثَّمن... بعد كلِّ ذَلكَ يخاطب الكيان الصهيوني قائلاً: «عدوانكم لن يوقف المقاومة ولن يحقِّق أمن إسرائيل... إذا كنتم تظنون أنكم تستطيعون القضاء على المقاومة فإنَّكم لن تزيدوها إلا صموداً...».

على من يضحك **حسني مبارك؟**

ومن هم الذين يريدهم أن يقتنعوا بكلامه هٰذا؟

هل يريدنا أن نقتنع نحن العرب والمسلمين أم أنَّهُ يريد من إسرائيل أن تقتنع بكلامه وقد تمَّ إعلان بدء المجزرة على لسان وزيرة خارجيَّة الكيان الصهيوني **تسيبي ليفني** من منابر الإعلام المصرية ومن فوق الأرض المصرية وبشراكة الوزير العتيد **أبو الغيط؟**

أبو الغيض هٰذا كان المسوغ للسياسة المصرية منذ بدء الأزمة، وكان في كلِّ مرَّةٍ يريد أن يكحِّل فيعمي، ولا ندري إن كان هو الذي يسبق **حسني** أم يأتي بعده في هٰذه التصريحات البلهاء، ولٰكن على أيِّ حالٍ، كان ثَمَّةَ توافقٌ اليوم أيضاً فقد أعلن **أبو الغيط** كلَّ ما أعلنه **مبارك** من قرارات وتصريحات، فقال: «إنَّ إسرائيل

هي العقبة أمام جهود السَّلام...»، وقال كذلكَ: « القوَّة لن ترهب العرب ولن ترهب الفلسطينيين...»، وهي ذاتها تقريباً العبارات التي راح يصدح بها **حسني باراك** اليوم.

ما الذي منعكما أيُّها الزعيمان العتيدان من هٰذه التَّصريحات طيلة الأسابيع الثَّلاثة المنصرمة من المجزرة؟

إنَّ القول بصحوة الضَّمير كلام لا ضمير له. لأنَّ المجزرة التي وقعت أبكت أعداء فلسطين والعرب ودفعتهم للثَّورة والاحتجاج على الكيان الصهيوني على امتداد الأرض بالطول والعرض، وفي ظلِّ كلِّ هٰذه الاحتجاجات، ومع شدتها ووضوحها كان **مبارك** وأزلامه وأتباعه يشنُّون الهجومَ تلو الهجوم على حماس والمقاومة، ويمنعون أيَّ مبادرةٍ لعقد قمَّة عربيَّة تخرج بالشَّجب فقط... أي إنَّ النَّظام المصريَّ كان لا يقبل شجب العدوان الصهيوني، ويرفض أيَّ مشروع للشَّجب وليس أكثر من ذٰلكَ.

فهل يمكن أن ينطلي ذٰلكَ على الجماهير التي أصابها الغثيان من الموقف الرسمي المصري؟

في الخطاب الكثير مما يستحقُّ الوقوف عنده بل كلُّه يستحقُّ الوقوف عنده، حسبنا هٰذا وحسبنا الله ونعم الوكيل.

الفصل السابع عشر

مصر شريك إسرائيل في العدوان

نقرُّ سلفاً بأنَّهُ عنوانٌ صادمٌ لبعض الشَّعب المصري، وسيرى كثيرٌ من المصريين أنَّ هٰذا العنوان إساءةٌ لهم. هٰذا شأن من يسيء الفهم والتَّقدير. فالحقيقة التي لا يمكن نكرانها، وقد كشفنا عنها في كثيرٍ من المجالات، أنَّ النَّظام المصري أكبر شريكٍ لإسرائيل في مجزرة غزَّة وفي حصار غزة، وفي تركيع غزة. ونحن إذ نقول مصر فإنَّ المقصود هو النظام **وحسني مبارك**، كما لو قلنا سوريا فإنَّنا نعني النظام السوري، وكذٰلكَ السُّعودي... ولا نعني الشَّعب بأيِّ حالٍ من الأحوال، وإن كانت الشُّعوب تحمل الكثير من الوزر في بقاء هٰذه الأنظمة الصَّريحة الخيانة.

لن نطيل الكلام، والكلام التالي ليس لنا، ولن نكثر من التحليل، سنسرد تقرير صحيفة الأسبوع المصريَّة التي كشفت عن شركات مصرية

زوَّدت الجيش الصهيوني بعشرات الأطنان من المواد الغذائيَّة، قبل الحرب على غزة وفي أثناءها وبعدها بتاريخ ٢٠٠٩/١/٢٨م، الذي حمل عنوان: «أسطول من الشَّاحنات المصريَّة لم يتوقَّف عن تزويد الجيش الصهيوني بعشرات الأطنان من المواد الغذائيَّة في الوقت الذي منع نظام **كافور الإخشيدي** حَتَّى الأطباء من دخول غزة».

جاء ذَلكَ كما يقول التَّقرير في الوقت الذي منع فيه النِّظام المصري حَتَّى الأطباء من دخول قطاع غزة لمعالجة الجرحى، كما كشف الكثير من الأطباء النرويجيين والفرنسيين وغيرهم، الأمر الذي اضطر بعضهم، كما كشف الطبيب الفرنسي **كريستوف بيرلين**، إلى التَّسلل عبر الأنفاق مع معداتهم الطِّبيَّة للقيام بواجبهم الإنساني والمهني بعد أن باتوا ١٣ يوماً عند نقطة الحدود في رفح ويئسوا من الدخول بطريقة شرعيَّة. أطباء أوروبيون من أصلٍ أوروبيٍّ لم تحتمل ضمائرهم أن يعودوا من دون تقديم العون والمساعدة للمحاصرين في غزة، وغامروا بحياتهم من أجل أداء واجبهم الإنساني، في حين أنَّ النظام المصري يدفع الغالي والنفيس ليمنع وصول المساعدات الإنسانيَّة إلى غزة. وليس لهذا فحسب بل سنجد أكثر من ذَلكَ بكثير مما تفيض منه العين أسى وقهراً.

يبدأ التَّقرير بما يشبه الاعتذار أو التوضيح للشعب المصري لا بأس من اختصاره، يقول: لا تجعل صدمة العنوان، تنسيك أنَّ شعب مصر هو الذي قدم أروع أشكال التَّضامن مع أشقائه في غزة طوال أيام العدوان الصهيوني، وعليك أن تتذكر، وأنت تقرأ تفاصيل هذه الفضيحة المثيرة، أنَّ ظاهرة تجار الحروب وسماسرة

الموت ليست جديدةً ولا غريبةً، فقد عرفها العالم في كلِّ صراعاته، بما في ذَلكَ الخفية منها.

مثل هؤلاء التُّجار يمارسون حرفتهم الملعونة بأشكالٍ عديدة، فمنهم من يستغلُّ الحروب للسَّمسرة في السِّلاح، ومنهم من يوظِّف الدماء على جبهات القتال للتأثير في حركة الأسواق بما يخدم مصالح الجهات التي يخدمها، فيما يقوم بعضٌ بالاتجار بالبشر بتجنيدهم مرتزقةً لخوض المعارك، أو جواسيس لجمع المعلومات.

أمَّا أخطر هؤلاء التجار، فهو من يزود عدوه باحتياجاته الغذائيَّة والعسكرية خلال القتال، مفضلاً تحقيق ربحٍ ماديٍّ لنفسه على حساب دماء أهله، ومستقبل أمته... وتدخل الفضيحة التي تنفرد (الأسبوع) بنشر تفاصيلها في إطار النَّوع الأخير من الاتِّجار بالحروب، فبينما كانت مصر كلها تنتفض حزناً على ما يحدث لغزة، والدعاة والائمة والقساوسة يتوجهون لله بالدعوات لنصرة الأبرياء الجائعين في القطاع المحاصر، كان جنود العدو يتزودون بأغذية مصريَّة اسمها (لذة)، تنتجها شركة (الاتحاد الدولي للصناعات الغذائية المتكاملة) في مصانعها بالمنطقة الصناعية في مدينة السادات. أمَّا التفاصيل نفسها فتتضمن الكثير من الأسماء والأرقام والمستندات الصَّادمة لكلِّ ذي كرامة...

الصدمة الأولى

في العاشر من شهر تموز/يوليو الماضي سحب الضَّابط **هشام خلاف** رخصة السائق **محمد محمد إسماعيل**، ثمَّ منحه إيصالا ذكر فيه أنَّ الرخصة سحبت لأن صاحبها خالف القانون حين سار بشاحنته في يسار طريق مصر ـ الإسماعيلية.

لحظتها لم يكترث السَّائق كثيراً بالمخالفة، فقد كان همه الحقيقي هو إكمال الرحلة، من دون شوشرة من أيِّ نوع. كانت الشَّاحنة تحمل حوالي ٢٠ طنًّا من المواد الغذائيَّة مرسلة من طرف الشركة المصرية إلى شركة (تشانل فوود) الصهيونية لتقوم الأخيرة بتزويد جيش الاحتلال بها.

وعلى رغم أنَّ السَّائق، كان على درايةٍ بأنَّ أحداً لا يستطيع منعه من إكمال الرحلة، إلا إنَّ خوفه من تسرُّب سرِّ حمولته لأيٍّ من الواقفين في كمين لجنة المرور، جعله يتسلم الإيصال من يد الضَّابط بسرعةٍ، قبل أن يطويه ويضعه دون أن يقرأه، داخل حافظة ألقاها أمامه، ثمَّ تحرك بشاحنته جهة الشَّرق... وقبل أن يصل **محمد** الذي يقطن بعرب جهينة التَّابعة لمركز شبين القناطر إلى معبر العوجة، كان زميله **عادل محمد حنفي** (٥٠ عاماً) يقف بشاحنة ثانية رقمها ١٩٥٥٠٧ (نقل القاهرة) أمام مصانع الشَّركة بمدينة السادات، منتظراً أمين المخازن **محمد السيد** كي يتسلم منه ١٨ طنًّا من الفاصولياء المتجهة إلى المكان نفسه الذي اعتاد على الذَّهاب إليه منذ التحق بالعمل لدى الشركة...(إسرائيل).

كان **عادل** قد دخل دولة العدو مرات عدة قبل ذَلكَ، لَكنَّهُ كان يخفي ذَلكَ عن أقاربه، وكذا جيرانه بحارة البدري في مدينة السلام، مكتفياً بإبلاغ من يسأله بأنَّهُ ينقل منتجات الشرَّكة لدول عربيَّة، أو إلى موانئ بعيدةٍ كسفاجا والسويس، وحينما قام ضابط المرور **أحمد عبدالهادي** من مرور البحر الأحمر يوم ٣١ أيار/ مايو الماضي بسحب رخصَّة المقطورة التي تجرها شاحنته، استغل **عادل** الفرصة، فحوَّل الإيصال إلى دليلٍ يثبت صحة مزاعمه.

أما داخل الشركة، فكان **عادل ومحمد** وزملاء لهما خاضوا التَّجربة نفسها يسوغون قبولهم لهذه المهام، بضغوط أصحاب الشركة وعدم وجود بديلٍ يحقِّق لهم العائد المادي ذاته.

وفي بعض الأحيان كان السَّائقون ينزعون قناع الخجل، ويقولون لمن يسألهم: إنَّ الشركة تطبع مع العدو الصهيوني منذ سنوات، فلماذا لم يتخذ أي من الإداريين أو الفنيين موقفا شجاعاً؟!

لقد بدا نجاح الشركة في الحفاظ على سرها الكبير أمراً مذهلاً... تخيلوا أنَّ اسم هٰذه الشركة التي تتعامل مع العدو ليل نهار لم يظهر في أيٍّ من قوائم المطبعين التي نشرت من قبل، وكانت تركز على شركات، مثل (أجرولاند) التي تقوم بإنتاج وتسويق البذور والمخصبات الزراعيَّة الصهيونيَّة والمبيدات وبذور الطماطم، و(سيف أجريت) التي تعمل كوكيل لشركة (تتانيم) الصهيونية المتخصصة في عمليات الري بالتنقيط، وشركة (ستار سيدس إيجبت) التي تقوم باستيراد الفلفل والطماطم من الكيان الصهيوني وشركة (بيكو) التي تقوم بزراعة شتلات الفاكهة والخضار الصهيونية.

الصدمة الثانية

بينما كانت مصر الرسميَّة ترفض بعنادٍ فتح معبر رفح أمام المعونات الإغاثيَّة المقدمة لأهالي غزة خلال العدوان الصهيوني الأخير عليهم، كانت الشَّاحنات المحملة بمنتجات (الاتحاد الدولي) تمرُّ من معبر العوجة إلى داخل دولة العدو بسلاسةٍ كي تفرغ حمولتها الضَّخمة من المواد الغذائيَّة داخل معسكرات جيش الاحتلال.

حدث ذٰلكَ في أول أيام العدوان، واستمر خلاله، بل إنَّهُ ما زال يحدث حَتَّى كتابة هٰذه السطور، وكأنَّ المتورطين فيه لم يقرأوا صحيفةً، أو يتابعوا شاشةً أو

يدخلوا مسجداً أو كنيسةً كي يعرفوا أنَّ من يتم تزويدهم بتلك الأغذية هم أنفسهم من يلقون بالأسلحة المحرمة علي أجساد الأبرياء في القطاع المحاصر، وهم من يقتل الأطفال ويمزقون الأشلاء ويهدمون بيوت الله.

تخيلوا، كانت غزة تحترق والدماء فيها بحور، بينما أسطول شاحنات مصري يتحرك ذهاباً وإياباً على الطريق الممتد من مدينة السادات حَتَّى معبر العوجة أقصي شرق مصر، ليسلم منتجات شركة (الاتحاد الدولي للصناعات الغذائية) إلى شركة (تشانل فوود) الصهيونية لتقوم بتوريده إلى جيش الاحتلال.

عادل نفسه الذي يحمل رخصة قيادة درجة أولي صادرة عن وحدة مرور شبرا برقم ٩٥٩٨٥، كان – للمفارقة – قائد أول شاحنة أغذية تتحرك من مخازن الشركة في مدينة السادات باتجاه الكيان الصهيوني بعد أقل من ٢٤ ساعة فقط من بدء العدوان، بينما كان زميله **إسماعيل كامل إسماعيل** (٤٠ عاما – يحمل الرخصة رقم ٢١٦٠٩٨ – مرور عبود) قائداً للشاحنة الثانية، وكلتاهما كانت تحمل فاصوليا خضراء.

تقريبا كان العمال ينقلون الكمية الخاصة بالشاحنتين وهي ١٧ طنا و٨٢٠ كجم (كغ) للشاحنة الأولى ورقمها ٩٥٥٠٧، ومثلها بالضبط للشاحنة الثانية التي تحمل الرقم ١٥٨٠٦٨ (نقل جيزة)، بينما كانت الفضائيات تنقل أخبارا تقول: إنَّ الطَّائرات الصهيونيَّة المزودة بأحدث القنابل قد ألقت بحممها على عددٍ من أحياء غزة وتسببت في قتل العشرات وإصابة المئات من المدنيين، ما رفع عدد الشُّهداء حينها إلى ٣٥٠ والجرحي إلى حوالي ٩٠٠.

وحسب ما قاله مصدر بالشركة للأسبوع، **فإن العمال كانوا غاضبين لما يتعرض له أهل غزة، لٰكنَّ أحداً منهم لم يتوقف عن حمل**

الأغذية التي وضعت في عبوات مدون عليها تاريخ الإنتاج وفترة الصلاحية باللغة العبرية.

ويضيف المصدر: مستوي المرتبات في الشركة متدن بالمقارنة بشركات مجاورة، إذ يبدأ أجر العامل الحاصل علي دبلوم فني ب٣٦٠ جنيها فقط، ومع ذَلكَ لا أحد يريد المغامرة، خصوصاً أن الإدارة لوحت مؤخراً برغبتها في تخفيض عدد العمال لمواجهة آثار الأزمة العالمية.

الصدمة الثالثة

لدواعٍ كثيرةٍ، انحاز قطاع شعبيٌّ لا يستهان به للموقف الرسمي المصري من العدوان، إلا أن هٰذا الانحياز لم يكن عفويًّا في أوساطٍ ماليةٍ معينةٍ، وبالذات بَيْنَ المطبعين مع العدو الصهيوني، فقد شعر هؤلاء بأن علاقاتهم بشركائهم الصهانية ستتعرض للتدهور، خلافاً لما كان متوقعاً إثر الزيادة الملحوظة في حجم التبادل التجاري بَيْنَ البلدين الذي وصل خلال عام ٢٠٠٨ إلي ٤ مليارات دولار بخلاف صادرات الغاز والنفط.

وبالنسبة لشركة الاتحاد الدولي تحديداً، كان الخوف مضاعفاً، أولاً لأنَّ العدوان قد أحيا الحملة الشعبية الداعية لقطع جميع العلاقات مع الكيان الصهيوني، وثانياً لشعور الإدارة بأنها ستتعرض لحملةٍ شعبيةٍ واسعةٍ إذا تسرب أيُّ خبرٍ عن قيامها بتصدير الأغذية لجيش الاحتلال. لذَلك كثفت الإدارة – بمجرد بدء الحرب – من رقابتها علي تحركات العمال واتصالاتهم حَتَّى يبقي السر الخطير طي الكتمان.

ونتيجة لهذه المخاوف حظي **عادل وإسماعيل** وزملاؤهما السائقون بنصيبٍ وافرٍ من الرقابة، لَكنَّهُم لم يفقدوا وضعهم المتميز، الذي اكتسبوه،

وحسب ما قيل لهم مرات عدة، من تصديهم للمهمة الأصعب داخل الشركة، وهي نقل المنتجات إلى مستهلكيها بأمانٍ وسريَّةٍ. وعلى ما ذكر المصدر، الذي رفض ذكر اسمه، فقد حظي **عادل وإسماعيل** بعد عودتهما من رحلة ٢٩ كانون الأول/ديسمبر، بتقديرٍ خاصٍّ من الإدارة، التي قررت أن توكل اليهما القيام بمعظم الرحلات التالية... **عادل** هو الذي حمل بشاحنته يوم ١٠ كانون الثاني/يناير، حين وصل عدد الشهداء إلى ٨٣٠ والجرحي إلى ٢٣٥٠، ١٩ طنا و٨٠٠ كجم (كغ) من البازلاء والفول الأخضر، ومعها ٥٦ كيساً من عدة أصناف كهدايا لرجال الجمارك، ثمَّ عاد ليحمل بتاريخ ١٤ كانون الثاني/ يناير (أي مع وصول عدد الشهداء إلى أكثر من ألف) ١٢ طنا و٢٥٠ كجم (كغ) من البامية المجمدة، إضافة إلى ٧٢ كيساً من مختلف المنتجات كهدايا لرجال الجمارك.

أمَّا **إسماعيل** فأوصل بشاحنته في اليوم ذاته ١٩ طنا و٨٠٠ كجم (كغ) من الفول إلى داخل إسرائيل، كما قام بنقل ١٨ كيساً ودوِّن في أذون الصَّرف عبارة أمامها «هدايا الحاج أحمد».

الصدمة الرابعة

الحاج **أحمد** هو نفسه رجل الأعمال **أحمد الشناوي** رئيس مجلس الإدارة، والذي اعتاد هو وشقيقه **إبراهيم** على إرسال هدايا لرجال الجمارك لتسهيل دخول الشاحنات إلي داخل الكيان الصهيوني.

لٰكنَّ العادة الأخطر التي يصر الرجلان عليها – وكما قالت مصادر الأسبوع – هي وضع منتجات الشركة في عبوات بلاستيكية مكتوبة بياناتها باللغة العبرية لتكون جاهزة للتوزيع المباشر بمجرد وصولها إلى داخل الكيان.

أحد مصادر الأسبوع قال: إنَّهُ سأل عن السَّبب وراء الإصرار على هٰذه العادة المدهشة، فأخبر بأن الشركة الصهيونية المستوردة هي التي طلبت ذٰلكَ حَتَّى تتمكن من توصيل المواد الغذائيَّة بسرعة إلى هدفها الأخير.

أما الملصقات التي توضع على كلِّ كرتونة، وهي أيضا مكتوبة بالعبرية، فتحدِّد نوعيَّة المنتج داخلها، وبلد الإنتاج، فضلاً عن إشارةٍ تقليديَّةٍ لطمأنة المتدينين اليهود بأن هٰذا الغذاء مطابقٌ تماماً لعقيدتهم.

وعلى الرَّغْمِ من جرأتها في استخدام هٰذه الملصقات، إلا أن إدارة الشرَّكة تفرض طوقاً مشدَّداً حول مكان تخزين الأكياس والملصقات والكراتين الفارغة، وهي لا تسمح لأيٍّ من العمال أو الموظفين بالاقتراب منها، وغالباً ما يتم تفتيش من يتعامل مع هٰذه المواد لحظة مغادرته الشَّركة.

أحد العمال قال للأسبوع: إنَّهُ يشعر بالغثيان كلَّما شاهد أوراقاً مكتوبةً بالعبريَّة، لٰكنَّهُ لا يستطيع فعلَ شيء، في حين ذكر موظفٌ قريبٌ من حركة البضائع الخارجة من المخازن قائلاً: إن إدارة الشركة أقدمت منذ شهرين على تصرف غريب، هو تغيير نموذج إذن الصرف الذي يتم التعامل به بَيْنَ المخازن وسائقي الشَّاحنات، إذ تمَّ وضع اسم (إسرائيل) على نحوٍ صريح، بينما كانت في النموذج السَّابق تذكر فقط اسم شركة (تشانل فوود).

ويضيف المصدر نفسه: النَّموذج السَّابق كان يحمل اسم العائلة المالكة للشركة، لٰكنَّهُم قرروا حذفه فجأة ودون ذكر أسباب.

وعلى سبيل التخمين، قال الموظف نفسه: أعتقد أنَّ الشركة أصبحت تتعامل على نحوٍ مباشر مع الحكومة الصهيونية ولم تعد بحاجة لوسيط.

انتهى تقرير جريدة الأسبوع، والتَّعليقات التي يجب أن نضيفها كثيرةٌ، وعلى رأسها وفي ختامها حسبنا الله ونعم الوكيل، فلا ندري من أين نبدأ؛ أمن العاملين في هٰذه الشَّركات، أم إدارات هٰذه الشركات أم من النظام الذي يدير الدولة والشَّركات والشَّعب؟! ولذلك نكتفي بالوقوف هنا لأن الكلام أحر من الجمر لا بُدَّ أن يحرق اللسان.

دمشق في ٢٠٠٩/١/٣٠م

الفصل الثامن عشر

العدوان على غزة بأوامر عربية

هل يمكن أن تتخيلوا أن هٰذه المجزرة الإسرائيلية التي بدأتها منذ أيام بحقِّ أهل غزة كانت بموافقةٍ عربيةٍ، ومباركةٍ عربيةٍ، وترتيبٍ عربيٍّ... وبإمكانكم أن تضيفوا ما شئتم من هٰذا القبيل من العبارات والأحكام؟!

إنَّ السُّؤال للأسف لا طعم له ولا معنى، لأنَّنا لم نعد نصدق أن يتمَّ ذٰلكَ من دون الدَّعم العربي. لقد وصلنا إلى حالةٍ من الثِّقة العمياء في أنَّ حكَّام العرب شركاء إسرائيل في احتلال فلسطين وحماية الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين يصعب تكذيبها. ولذٰلك فإنَّ أيَّ كلامٍ عكس ذٰلكَ لم يعد ليقنعنا بحالٍ من الأحوال، وسنستغرب بالتأكيد أن نجد حاكماً عربيًّا يقف مع فلسطين والفلسطينين بصدق وإخلاص.

من المعروف والمسلم به أنَّ الدول، وإسرائيل خاصَّة، لا تفضح عملاءها مهما كلفها ذَلكَ من ثمن، حَتَّى بعد موتهم، وتسكت عن التَّعليق على من يتم فضحهم بطريقةٍ أو بأخرى. ولٰكنَّ إسرائيل اضطرت في الظَّرف الرَّاهن إلى فضح عملائها والكشف عن حقائق مذهلةٍ، وهي موافقة أنظمةٍ عربيَّةٍ بعينها على مجزرة غزة تحت ذريعة القضاء على سلطة حماس. اضطرت لذَلك لأنَّ المجزرة كانت أكبر من أن تحتمل، واحتاجت إسرائيل إلى تبرئة ساحتها إلى أيِّ حدٍّ ممكنٍ. بل إنَّ إسرائيل أدركت منذ البداية أنَّها مقدمة على مأساةٍ كبيرةٍ ولذَلك باشرت بتسريب بل فضح التآمر العربي مع إسرائيل على غزة منذ السَّاعات الأولى للعدوان. سنقف عند بعض نماذج أو شواهد هٰذه الفضائح التي نشر بعضها الأستاذ **فهمي هويدي** في صحيفة الدستور المصريه يوم الخميس ٤ المحرم ١٤٣٠ الموافق لـ ١ كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٩م.

الشاهد الأول: في حديث للإذاعة الاسرائيلية باللغة العبريَّة تمَّ بثُّه صباح الأحد الماضي ٢٠٠٨/١٢/٢٨م، أي في اليوم الثاني من المجزرة، قال **يحئيل زيسمان** المعلق الاسرائيلي المعروف: «كان من الواضح أنَّ إسرائيل ما كان لها أن تقدم على عمليتها الكبيرة ضدَّ غزة لولا أنَّها حصلت على ضوءٍ أخضر من بعض الدول العربية، وتحديدا من مصر.

وتابع **زيسمان** موضحاً وشارحاً من خلال تحليله للموقف العربي: «إنَّ التَّصريحات التي أدلى بها وزير الخارجيّة المصري **أحمد أبو الغيط** يوم السبت تمثِّل أوضح صورةٍ لحال القبول العربي بالعمليَّة. ذَلكَ أنَّهُ حين قال في تصريحٍ صحافيٍّ مُعْلَنٍ: إنَّ مصر حذَّرت حماس وإنَّ من لا يستمع إلى تحذيرها فلا يلومنَّ إلاَّ نفسه». وهو مؤشرٌ واضحٌ على قبول القاهرة بما

حدث لغزة. ودليلٌ واضحُ الدَّلالة على صدور الضَّوء الأخضر من القيادة المصرية.

الشاهد الثاني: في اليوم نفسه قالت **كرميلا منشيه** المراسلة العسكريَّة للإذاعة ذاتها: «إنَّ الاتصالات الشَّخصية التي أجراها كلٌّ من رئيس الوزراء **إيهود أولمرت** ووزيرة الخارجيَّة **تسيبي ليفني** مع المسؤولين العرب آتت أكلها في توفير الظروف المناسبة للشروع في العملية العسكرية التي لم ينفذ مثلها منذ عام ١٩٦٧م». وأكَّدت **كرميلا** أنَّ إسرائيل استغلت موقف الأنظمة العربيَّة الخانق للغاية على حركة حماس من أجل توفير غطاءٍ عربيٍّ لعمليتها الواسعة، ورأت بوضوحٍ «أنَّ الصَّمت الرسميَّ العربيَّ هو دعوةٌ صريحةٌ لمواصلة العمل ضدَّ حماس في القطاع».

الشاهد الثالث: يوم الاثنين ٢٠٠٨/١٢/٢٩م، أي اليوم الثالث من المجزرة، نشر موقع صحيفة (هآرتس) على الإنترنت تقريراً لمراسل الصحيفة **زفاي باريل** تحت عنوان: «دولٌ عربيَّةٌ رئيسيَّةٌ مهتمَّةٌ بإضعاف حماس»، ذكر فيه «أنَّ إغلاق مصر لمعبر رفح لإحكام الحصار الإسرائيلي المضروب على غزة أصبح أحد محاور السياسة المصريَّة، وأنَّ من يتابع البيانات الرسميَّة العربيَّة وهتافات المتظاهرين في عدد من العواصم العربية يخيل إليه أنَّ الذي شنَّ الحرب ضدَّ غزَّة هو مصر وليس إسرائيل». أضاف **زفاي باريل** أنَّ «مصر والسعودية اللتين تعدان حماس حليفاً لطهران تفضِّلان التريث بعض الوقت أملاً في أن تنهي إسرائيل سيطرة حماس على القطاع. ولذلك فإنَّ القمة العربيَّة المنتظرة لن تنجح في التوصُّل إلى شيءٍ إيجابيٍّ طالما بقيت الدولتان الكبيرتان».

الشاهد الرابع: ذكر **عاموس هارئيل** المراسل العسكري لصحيفة (هاآرتس) في تحليلٍ نشره في عدد الاثنين ٢٠٠٨/١٢/٢٩م، أي اليوم الثالث للمجزرة، أن «إسرائيل انطلقت في بداية هجومها العسكري على غزة من الفكرة ذاتها التي انطلقت منها الولايات المتحدة في غزوها للعراق وأفغانستان التي تمثلت في حملة (الصدمة والرعب) وهي التي تنبني على استخدام قوةٍ تدميريَّةٍ هائلةٍ جدًّا، على أمل أن تترك تأثيراً صاعقاً لدى العدو». ولٰكنَّ حماس وغزَّة لم تهتز واستوعبت الصدمة، ولذٰلك علَّق **هارئيل** إنَّ «ردَّ فعل حماس ومن الخطاب المتحدي الذي ألقاه رئيس وزراء حكومة غزة **إسماعيل هنية**، إنَّ مبدأ الصدمة لم يحقق الهدف المرجو منه». ولذٰلك، والكلام لنا الآن، أصيبت هٰذه الأنظمة العربيَّة بالصدمة بدل أن تصاب بها حماس، لاذت بالصَّمت، ورُبَّما التَّحريض السِّري لإسرائيل على استمرار المجزرة حَتَّى الوصول إلى إخضاع حماس وإسقاطها. ولا شكَّ في أنَّ قادمات الأيام ستكشف عن حقائق من هٰذا القبيل.

الشاهد الخامس: في إشارة ضمنيَّةٍ إلى تورُّط إسرائيل في العدوان من أجل القضاء على سلطة حماس في غزة، وانقيادها وراء رغبات بعض الأنظمة العربية لتحقيق الهدف، علَّق **رون بن يشاي** كبير المعلقين العسكريين في صحيفة يديعوت أحرونوت صبيحة المجزرة ٢٠٠٨/١٢/٢٧م إنَّ هٰذه الجدية في تصريحات بعض المسؤولين الإسرائيليين الذين يؤكِّدون أن هدف إسرائيل هو إسقاط حكم حركة حماس أمرٌ مشكوكٌ فيه. وتابع بأنَّ هناك مخاوف حقيقة من أن يؤدِّي إسقاط حكم الحركة إلى تولي الجناح الأكثر تشدُّدا فيها مقاليد الأمور في القطاع.

الشاهد السادس: وفي يوم الاثنين نشر **يوسي بيلين** وزير القضاء الإسرائيلي الأسبق مقالاً في صحيفة (إسرائيل اليوم)، قال فيه: «إنَّ الحرب في غزة لا تقض

مضاجع أكثر القادة العرب، كما كان الأمر في العدوان على لبنان». وأضاف **بيلين** حقائق مدهشة عن حقيقة الزعماء العرب، أحياناً لا يصدقها العقل، فقد قال: «ما إن تخرج عدسات تصوير التلفاز من المكاتب، وتغلق الأبواب في اللقاءات التي تجمع الزُّعماء العرب ونظرائهم الإسرائيليين، فإنَّ زعماء إسرائيل يسمعون أقوالاً مدهشةً تفرحهم جدًّا من الزعماء العرب إذ يتبيَّنُ أنَّ ألدَّ أعداء إسرائيل في الواقع هم ألد أعداء الزعماء العرب». وهٰذه حقيقة يجب أن تبقى في بالنا جيِّداً، وندرك أبعادها. إنَّها تؤكِّد حقيقة أنَّ الزعماء العرب وإسرائيل في خندق واحدٍ، وأنَّ أعداهما فريقٌ واحدٌ.

وليس الأمر متوقفاً عند هٰذا الحد، لننظر فيما تابع به **يوسي بيلين**، كبير مفاوضي الجانب الإسرائيلي في مفاوضات السلام، فقد قال: «عندما تضرب إسرائيل فإنَّ بعض الزُّعماء العرب يستهجنون في حضور المسؤولين الإسرائيليين أنَّ العمليَّات العسكريَّة الإسرائيليَّة ليست أشدَّ صرامةً».

الأخطر من ذٰلكَ كله هو ما تابع به **بيلين**، أرجو أن نقف عنده بأناة وترو، ونقرأ ما وراء السطور بهدوء. لقد دعا **بيلين** زعماء إسرائيل إلى عدم الالتفات إلى الزُّعماء العرب الذين يطالبون ويشجعون على تحطيم عظام حركة حماس!!!. وأضاف قائلاً: «لا ينبغي أن يتحوَّل مئات ملايين المشاهدين لقنوات التلفاز العربية إلى أنصار لحركة حماس، أو متطرفين متدينين حَتَّى يمقتوننا ويكرهوننا بعد المجازر التي ارتكبناها في القطاع...».

لا ينتهي الكلام هنا، ولٰكنَّ الكلام وصل والفكرة وصلت، فهو يرى أن إسرائيل لا تريد أن تقوم بما قامت به، ولٰكنَّ الحكام العرب هم الذين يضغطون على إسرائيل من أجل القضاء على سلطة حماس والقضاء على حماس. القضاء

على حماس قضاء ليس على فكرة المقاومة فقط بل قضاء على نجاح التجمع الديني الإسلامي في أي إنجاز عسكري أو حَتَّى مدني، وهٰذا ما يكشف الغطاء عن حصار العالم العربي لحماس عندما نجحت في الانتخابات فهم لا يريدون نجاح حماس الإسلامية في إدارة المجتمع سلمياً بعدما نجحت عسكريًّا. الحكام العرب هم الذين يوجعهم نجاح حماس وليس إسرائيل التي وجدنا كيف أنَّها تدرك أنَّها هي الخاسر الأكبر من هٰذا العدوان مهما فعلت ومهما نجحت، فحَتَّى لو قضت على حماس فإنَّها ستكون قضت على ذاتها أو خسرت أكبر رصيدٍ لها بتصعيد الكره والعداء لها، وقيادة مئات الملايين ليكونوا حماس جديدة.

الشاهد السابع: في يوم الثلاثاء أجرى التلفزيون الإسرائيلي لقاء مع الجنرال **متان فلنائي** نائب وزير الحرب الإسرائيلي وقال بوضوح لا لبس فيه: إنَّ الظروف الدوليَّة والإقليميَّة السائدة حالياً، ومنها عدم انعقاد القمة العربية لمناقشة الوضع في غزة، تتيح لإسرائيل استكمال حملتها على حركة حماس في قطاع غزة. وقال الجنرال **فلنائي** في اللقاء ذاته إنَّهُ في حكم المؤَكَّد أن الكثير من الأطراف العربية تتفهم دوافع إسرائيل لخوض المواجهة ضد حركة حماس، وأشار إلى أنَّ التفهم العربي يعدُّ أحد أهم الظروف التي أتاحت لإسرائيل شنَّ هٰذا العدوان. بل وأضاف من غير خجل ولا خوف ولا حرص على مشاعر هؤلاء الحكام العرب «إنَّ الكثير من الحكومات العربية تشعر أن هناك قاسمٌ مشتركٌ بينها وبَيْنَ إسرائيل في حربها ضد ما أسماه بالإسلام المتطرف». والحق أنَّ القاسم المشترك بَيْنَ إسرائيل والحكام العرب ليس في محاربة الإسلام المتطرف وحسب بل في محاربة الإسلام ذاته، ومحاربة العروبة كلها. ما انكشف من الحقائق يكفي لهٰذا الحكم وما سينكشف أفظع بكثير وأعم بما لا يصدق.

المشهد الثامن: وفي يوم الخميس كشفت جريدة (معريف) عن أنَّ مسؤولين عرباً كباراً طالبوا إسرائيل بتصفية قيادات حركة حماس السياسيين والعسكريين. وذكر كبير معلقي الجريدة **بن كاسبيت** أنَّ أحد المسؤولين العرب، لم يسمِّه، اتصل بعدد من المسؤولين الإسرائيليين وقال لهم «اقطعوا رؤوسهم». وذكرت معاريف وهآرتس الإسرائيليتان أنَّ اللواء **عمر سليمان** مدير المخابرات المصرية أبلغ الجنرال **عاموس جلعاد** مدير الدائرة السِّياسيَّة والأمنية في وزارة الحرب الإسرائيلية أنَّ إسرائيل محقَّةٌ في أيِّ خطوةٍ تتخذها ضد حماس، محملاً الحركة المسؤولية عن انهيار التَّهدئة.

هؤلاء هم حكام العرب أيها السَّادة، هٰذا ما ظهر وما خفي أعظم بكثير. وهؤلاء من تم فضحهم، ومن لم ينفضحوا أكثر وأخطر. لا أظنكم ستنتظرون كثيراً حَتَّى تعرفوا الحقائق لأن الساعة قد أزفت والله أعلم.

دمشق في الجمعة ٢٠٠٩/١/٩م

الفصل التاسع عشر

عباس يغزو غزة بالجيش الصهيوني

ما بال قادة أمتنا كلهم منغمسون في الخيانة من أخمص القدمين إلى أعلى الرأس؟!!

حقًّا إنَّ ما يحدث لا يخطر في بال بشر؟

شيءٌ لا يصدق؟

شيءٌ من الصَّعب القول إنَّهُ مثل الكذب، لأنَّ الكذب غدا أمامه صفاء ونقاء... شيء غدا الكذب أمامه مستملحاً مقبولاً!!!

وفي حين ما زال العدوان المجزرة على غزة متواصلاً بدأت تتكشف حقائق يشيب لها الولدان. يشيب لها الولدان تعبيرٌ ما أوغله في القدم، كنا نسمعه من

الأجداد تعليقاً على أبطال الخرافات والأساطير، صار الآن تعليقاً على ما يفعله قادة الأمَّة في الأمة وشعوب الأمة. بل صرنا نراه بأعيننا.

ما إن بدأ العدوان الهمجي الصهيوني على غزة صبيحة يوم السبت السَّابع والعشرين من كانون الأول من العام الماضي ٢٠٠٨م حَتَّى أمر **محمود عباس** زعيم السلطة الفلسطينية، الذي فرضته إسرائيل سابقاً رئيساً لوزراء **ياسر عرفات** بصلاحيات منتزعة من **ياسر عرفات**، بتشكيل غرفة طوارئ مهمتها التَّحضير لملء الفراغ أملاً بانهيار سلطة حماس في غزة بالعدوان الإسرائيلي.

نعم كان يأمل **محموق عباس** بانهيار سلطة حماس في غزة. وليت الأمر ينتهي هنا، ليت الأمر ينتهي بأمله بنجاح إسرائيل في القضاء على سلطة حماس في غزة. لأنَّ الأمر تجاوز ذَلكَ إلى التَّنسيق مع إسرائيل من أجل القيام بهذا العدوان ومساعدتها به. **محمود عباس** رئيس السلطة الفلسطينية ينسق مع إسرائيل من أجل قيام إسرائيل بعدوان على الأرض الفلسطينية والشعب الفلسطيني!!! هل رأيتم مثل ذَلكَ في التاريخ؟ من المؤكد أنَّهُ قد يوجد بل يوجد، ولٰكنَّ فقط في تاريخنا أيام الوهن، وليس في تاريخ أي شعب آخر.

لا ندري إن كان التنسيق على العدوان كان قبل العدوان بزمن طويل أو قصير، ولكننا نجزم بذَلكَ ضمناً. لا نستطيع الكلام فيما نجزم به حدسيًّا من معرفة من هٰذا النَّوع. ولكنَّنا نتحدث فقط عن الوقائع التي تم الوصول إليها.

بحسب التَّقرير السِّري الذي كشف عنه الصهاينة عن تحركات رئيس السلطة **محمود عباس** بالتنسيق مع الاحتلال الصهيوني والسلطات المصرية للتعاون بَيْنَ هٰذه الأطراف الثلاثة من أجل قيام سلطة **عباس** بملء الفراغ السياسي في غزة الأمر

الذي يتوقعه **عباس** ويرجوه، ورُبَّما خطَّط له مع الطرفين الآخرين كما نتوقع، عقب العملية الحربية التي بدأتها إسرائيل من أجل القضاء على حُكم حماس حسب ما أعلنه قادة الكيان الصهيوني.

وأضاف التقرير الذي وصل إلى المركز الفلسطيني للإعلام أنَّ رئيس السلطة **محمود عباس** اتصل من مصر قبل سفره إلى السعودية، يوم الأحد الماضي ٢٠٠٨/١٢/٢٨م بمسؤولي السلطة برام الله وطلب منهم تشكيل غرفة طوارئ استعداداً لما أسماه انهيار سلطة حماس بغزة. وتتألف غرفة الطوارئ هٰذه من وزير الداخلية، وقادة أجهزة **عباس** الأمنية في حكومة **فياض** من أجل متابعة التطورات ومواجهة احتمال انهيار سلطة حماس في قطاع غزة، وما يستدعيه ذَلكَ من استعداد لملء الفراغ الذي سينشأ عند انهيار سلطة حماس، والأهم من ذَلكَ وأخطر بكثيرٍ جداً هو أنَّ كلَّ ذَلكَ بالتنسيق مع الكيان الصهيوني وبدعم منه، وقد أعلنت **تسيبي ليفني** صراحةً أنَّها ستواصل دعم سلطة **عباس** والعمل على إعادتها إلى غزة.

ولا تستغربوا هٰذا التَّسريب السري ولا تستبعدوا مصداقيَّته فهو يرسم مسار رحلة **عباس** سلفاً من السعودية إلى عمَّان فالقاهرة من أجل التَّنسيق مع المصريين خاصة لمواجهة إمكانية تغيير الوضع في غزة على خلفية بدء العمليَّة العسكريَّة. وكان يتوقع **عباس** سلفاً صمود أهل غزة أمام هٰذا العدوان ولذَلك كان يتوقَّع سلفاً أيضاً أنَّ هٰذه العملية ستتصاعد إذا أظهرت الضربة نتائج إيجابية للصديقين إسرائيل **وعباس**، وتحسباً لذَلك فقد كان التَّخطيط مبنيًّا على أن تكون الضَّربة صدمةً لغزة تجعل تحقيق

النتائج الإيجابية، أي انهيار السلطة الحمساويَّة أمراً سهلاً، فتبدأ الضَّربة بشنِّ الغارات المكثفة على مواقع الأمن التابعة للسلطة في غزة وإحداث التأثيرات المطلوبة لتطوير العملية العسكرية بالانتقال إلى العملية البرية. كل ذَلكَ حسب تقدير التقرير.

وفي السياق ذاته؛ أكدَّت مصادر خاصَّة للمركز الفلسطيني للإعلام أنَّ **نمر حماد** مستشار **محمود عباس** مساء السبت ٢٠٠٨/١٢/٢٧م، أي بعد ساعات قليلةٍ فقط من شن العدوان الوحشي على قطاع غزة، اتصل بالجنرال الاحتياط **عاموس جلعاد**، الذي أسندت إليه الحكومة الإسرائيلية منصب منسق العمليَّات الحكوميَّة والمستشار السياسي لوزير الحرب الصهيوني **إيهود باراك**، ليبلغه بأن «السُّلطة الفلسطينية تعطي إسرائيل حقَّ ضرب حماس وتصفيتها؛ ولَكنَّهَا تطالب إسرائيل بأن تتركز الضربات على مقار حماس وقياداتها».

هٰذا الهاتف يكشف عما قدرناه من أن لا يستبعد أن يكون **محمود عباس** قد نسَّق هٰذا العدوان منذ وقتٍ غير قليلٍ مع الكيان الصهيوني. ولا ندري إن كان المحرِّض على ذَلكَ أم لا. صحيحٌ أنَّنا رأينا ونرى أنَّ إسرائيل مضطرة للقيام بهٰذا العدوان، أو هي بحاجةٍ للقيام بهٰذا العدوان، ولٰكنَّ أن يكون ذَلكَ بالتَّخطيط والتَّنسيق مع رئيس السلطة الفلسطينية فهٰذا ما لا يمكن أن يتم تصديقه. ولَكنَّهُ وقع. وقع ويقع أكثر من ذَلكَ من قادة عالمنا العربي الذي ينام ويغط في نومه ناعماً بأوهام الأنظمة ومخدراتها الإعلامية.

كيف لا يصدر مثل هٰذا عن **محمود عباس** وقد صدرت عنه تصريحاتٌ وممارساتٌ لا تخطر ببال إبليس لو كان مكانه. لا نعود الآن إلى تاريخه، نريد فقط أن نختم بتصريح له لا يصدر عن أعمى بصر وبصيرة معاً.

صحيحٌ أنَّ العمى لا يفقد التمييز بَيْنَ الألوان وحسب بل يفقد الرؤية كلها، فإنَّ للعمى ألوان، ورُبَّمَا يصح القول: العمى فنون، قياساً على الجنون فنون. ومن فنون العمى ما تفتق عنه ذهن الزعيم الفلسطيني التاريخي **محمود عباس** اليوم السَّبت العاشر من كانون الثاني ٢٠٠٩م إذ أعلن من دون حياءٍ ولا خجلٍ قائلاً: «نحن لا نريد مقاومة تضر الشَّعب، المقاومة التي تضر الشَّعب لا نريدها». وأضاف غير مستفيدٍ من دروس التاريخ كلها قائلاً: «نحن نطالب بقوات دولية في الأراضي الفلسطينية لحماية الفلسطينيين».

قال ذَلكَ فيما لم تزل المجزرة الصهيونية في غزة مستمرة منذ صباح يوم السبت ٢٧ كانون الأول ٢٠٠٨م وحَتَّى السَّاعة التي اقترب فيها عدد الشهداء من التسعمئة، واقترب عدد الجرحى من أربعة آلاف. وفي مقابل ذَلكَ مقاومة صامدةٌ صموداً مشرِّفاً، وتتصدى لجيش الاحتلال الصهيوني تصديًّا يدعو للفخر والاعتزاز...

دمشق في ٢٠٠٩/١/٢٠م

☆ ☆ ☆

الفصل العشرون

ما لا يحتاج إلى تفسير
لماذا غاب عباس عن قمة غزة؟!

كثيرةٌ هي المفارقات والعجائب والغرائب والفضائح التي أثارتها تداعيات المجزرة المروعة الكبيرة التي ارتكبها الكيان الصهيوني في غزَّة أهلاً وأرضاً.

كثيرةٌ هي الأمور التي تحتاج إلى تفسيرٍ، وكثيرةٌ هي الأمور التي لا يغير شيءٌ صورتها التي ظهرت عليها مهما كان التَّفسير والتَّسويغ والتَّبرير، وكثيرةٌ هي الأشياء التي ستنجلي حقائقها بعد حينٍ... ولٰكنَّ أمراً واحداً ظلَّ حروناً حرون البغل أمام الفهم وأمام قدرة العقل على القبول.

حقيقة لا أدري بما أصف هٰذا السلوك... على كلِّ ما تسعفني به اللغة والبلاغة في أصعب المواقف وأعقدها من تدفُّق البيان فإنِّي وقفت عاجزاً عن إيجاد

تعبيرٍ أصف به غياب الزعيم الفلسطيني **محمود عباس** عن القمَّة العربية الطارئة التي سمِّيت قمَّة غزة. وغزة هي جزءٌ من فلسطين، دولة **محمود عباس**، والقمة منعقدة من أجل النَّظر في أمر المجزرة الصهيونية الوحشية في غزة... ومع ذَلكَ وجد **محمود عباس** من قلَّة الإحساس والوجدان والضمير والنخوة ما يمنعه من حضور هٰذه القمة.

عندما لم أجد **محمود عباس** في القمَّة مالت بي الظنون إلى أنَّه لم يحضر القمَّة لأنَّ **خالد مشعل** قائد حركة حماس موجودٌ فيها.

ولكنِّي قلت في نفسي على الفور إن كان هٰذا هو السَّبب أو العذر فإنَّهُ عذرٌ أقبح من ذنبٍ، ولا يجوز أن يقبل منه مثل هٰذا العذر حَتَّى ولو كان بَيْنَه وبَيْنَ **خالد مشعل** دماء إلى الركب، لأنَّ ما يقع من عدوان على غزة أكبر بكثيرٍ جدًّا جدًّا من أيِّ خلافٍ مهما كان أصله وفصله وطبيعته... بل مهما كان **محمود عباس** خائناً وعميلاً، لأنَّ أعداء فلسطين ذاتهم بكوا من هول المجازر وخرجوا في مظاهرات احتجاج ضدَّ الكيان الصهيوني.

ظللت يأكلني التَّوتر والغليان بسبب غياب **محمود عباس** عن القمَّة لحظة تلو أخرى، ويزداد الغليان أكثر فأكثر كلما تذكرت أنَّ القمة معقودةٌ من أجل فلسطين وغزة تحديداً.

استأت كلُّ الاستياء من كلِّ من غاب عن القمة، وكذَلكَ استاء معظم العرب والمسلمين في العالم، على الرَّغْمِ من إيمان الجميع الإيمان الجازم بأنَّ هٰذه القمة لن تقدِّم شيئاً يستحقُّ أن يوقف له احتراماً، استأنا لأنَّ عدم حضورهم القمة هو أقصى ما يمكن أن يصل إليه انعدام الإحساس بالمسؤوليَّة، وأقصى ما يمكن أن يصل إليه احتقار الشُّعوب والازدراء بها وبرغباتها ومشاعرها وآمالها.

ومع ذَلكَ فإنَّ غياب كلٍّ من غاب من الرؤساء والأمراء والملوك العرب عن القمة يقع في كفَّة وغياب **محموق عباس** في الكفة الأخرى، بل يزيد عليها ثقلاً ووقعاً لأنَّ **محمود عباس** هو رئيس الشعب الفلسطيني على الرَّغْمِ من انتهاء ولايته الدستوريَّة.

المفاجأة المصيبة التي رفعت الضَّغط وشنجت الأعصاب إلى الحدِّ الذي لا يطاق هي الفضيحة التي كشف عنها وزير الخارجية القطري عندما أعلن ما دار بَيْنَه وبَيْنَ **محموق عباس** من حوار في السَّاعات الأولى من صباح هٰذا اليوم، يوم الجمعة ٢٠٠٩/١٢/١٦م، يوم انعقاد القمة. فقد ظلَّ وزير الخارجية القطري يرجوه سحابة منتصف الليل من أجل الحضور، وينكش ضميره بأنه هو الوحيد الذي يجب أن يحضر، وأنَّ القمَّة من أجل شعبه، وأنَّ قطر لم تدع أحداً من حماس أو فصائل المقاومة حَتَّى لا يصاب بالحرج... ومع ذَلكَ أصرَّ **عباش** على عدم الحضور بذرائع مختلفة... أصرَّ على عدم الحضور ليس لأنَّ **خالد مشعل** سيكون حاضراً، لأنَّ **خالد مشعل** لم يدع للحضور إلا بعد اليأس اليقين من رفض **عباس** حضور القمة، وكان ذَلكَ في صباح هٰذا اليوم...

لقد رفض **محمود عباس** حضور القمَّة ليكشف عورته تامَّةً من غير لبسٍ كما فعل النَّظام المصري والنِّظام السُّعودي على نحو الخصوص، ليلقموا كلَّ من يريد أن يدافع عنهم حجراً بترابه. لم يعد يريد **محمود عباس** وفريقه أن يقال عنهم إنهم مع العرب، إنَّهم يريدون بإصرارٍ شديدٍ واضحٍ صريحٍ لا لبس فيه أن يقال عنهم إنَّهم عملاء إسرائيل وأمريكا... ويفخرون بذَلكَ فخراً يدعو للعجب... وإلا كيف وبماذا يمكن أن نفسِّر ما قام هؤلاء العملاء في هٰذا العدوان الوحشيِّ والمجزرة البشعة التي ارتكبها الكيان الصهيوني في غزة وما زال مستمراً في مجزرته منذ ثلاثة أسابيع.

صار يشعر **محمود عباس** وفريقه بأنَّ نعته بالوطني عار لا يستطيع حمله، ولذلك غسل وأصدقاؤه هذا العار وأعلنوا بكلِّ اعتزازٍ وافتخارٍ أنَّهُم أبرياء من الوطنيَّة، أبرياء من العروبة، وأنَّهم ينفِّذون المشروع الصهيوني الأمريكي في القضاء لا على المقاومة العربية فقط بل على الكرامة العربيَّة.

من المؤكِّد في نظري اليوم أنَّهُ إن تاب **عباس** أو أيٌّ من أصدقائه وشركائه فلا يجوز أن يقبل البشر توبتهم مهما بدا من صدقها... ولا أناقش ذَلكَ فله شأنه، ولكنِّي أريد أن أسأل السؤال الذي لا بُدَّ من طرحه وتعميمه قدر الإمكان هو:

هل هذا هو موقف فتح التي غنينا لها الأغاني والأناشيد؟

هل هذا هو موقف فتح التي كانت لها بطولات صولات وجولات في النِّضال أججت القلوب والمشاعر؟

هل يقبل الفتحاويون أن تكون سمعتهم هي سمعة حاكمهم **محمود عباس؟**

أيها الفتحاويون لا أجد ما أقول لكم في مصيبتكم هذه إلا إذا رأيتهم أن **محمود عباس** معبراً عنكم. فإذا رأيتم أنَّهُ يعبر عنكم فإنكم أنتم هو وهو أنتم... وهو من ذبح أهله الذين أمنوه على حياتهم. فحسبنا الله ونعم الوكيل.

الفصل الحادي والعشرون

أوهام تكريس الانقسام

منذ بدأت المجزرة الصهيونيَّة على أهلنا في غزة وبعض الأطراف تكرر تكرار الببغاء الأحمق قولاً عجيباً غريباً وهو: لا نريد تكريس الانقسام.

أوَّل من برز بهذه النغمة، التي يصير النشاز أمامها صواباً، هو الرئيس المصري **حسني مبارك** عندما أعلن أنَّهُ لن يفتح معبر رفح حرصاً على عدم تكريس الانقسام الفلسطيني. وما إن أدلى الرئيس **حسني مبارك** بهٰذه الحجة بل الذريعة حَتَّى صارت نغمةً مفضَّلةً لدى فريق الرفض رفض دعم المقاومة، وراح يردِّدها ويغنيها كلما تعالت الدعوة لعقد قمَّةٍ عربيَّة أو ارتفعت دعوة لاتخاذ قرار يسهم في إيقاف المجزرة.

لا نريد أن نناقش القمة التي تنعقد صورة منها اليوم في الدوحة فلنا كلام مفصَّل فيها، ولكنَّنا سنقف فقط عند هٰذه النَّغمة الغريبة العجيبة التي يُنشدها أعداء فلسطين مراراً وتكراراً كلما أرادوا تسويغ إحباط عقد قمَّة أو تسويغ عدم اتِّخاذ قرارٍ أو إجراءٍ يدعم أهل غزة أمام الهجمة الشرسة التي تقف الوحشية والهمجية

أمامها حملاً وديعاً، على الرَّغْمِ من أنَّ المطلوب من العرب ليس معجزات ولا أشباه معجزات وإنما هي أمور سهلة، إنها أضعف الإيمان... إنها أمور بالكاد تغضب السيد الأمريكي، ومع ذَلكَ يعرقلون أيَّ جهدٍ في هٰذا السَّبيل ويكرِّر الأسطوانة المشروخة؛ أسطوانة الحرص على عدم تكريس الانقسام العربي أو الفلسطيني.

قبل أيُّ كلام عن انقسام عربيٍّ أو فلسطينيٍّ خرج علينا الرئيس **حسني مبارك** بأنه لن يفتح المعابر وأصرَّ على عدم فتح المعابر بقوله إِنَّهُ لا يريد أن يقع في الفخ الإسرائيلي الذي يسعى إلى إقامة دولتين فلسطينيتين واحدة في الضفة وواحدة في غزة. وقد تمتع الرئيس **حسني مبارك** بفطنةٍ ونباهةٍ كبيرةٍ مكَّنته من إدراك الفخ الصهيوني.

ولٰكن لا ندري من نصب فخَّ عقد القمَّة العربية حَتَّى رفضت مصر بإصرارٍ شديدٍ عقد القمَّة العربية، وكانت الذريعة أيضاً هي الحرص على عدم تكريس الانقسام العربي، لقد رفضت مصر بشدَّة عقد القمة في المرَّة الأولى بذريعة عدم تكريس الانقسام العربي. وعندما أصرَّ الأمير القطري على الدعوة لعقد القمَّة أصر المصريون ومعهم السعوديون على عدم عقد القمة حرصاً على عدم تكريس الانقسام العربي مهما كلف الثَّمن، حَتَّى ولو كان الثَّمن نهاية فلسطين والعرب!!

انعقدت القمَّة بمن حضر في قطر اليوم السَّادس عشر من كانون الأول ٢٠٠٨م، وقبلها كلما اقترب النصاب من الاكتمال انسحبت دولة لتكسر اكتمال النصاب، فيتم رجاء دولة أخرى فتوافق فتنسب دولة أخرى؛ تونس، المغرب، اليمن، لبنان... وكأننا أمام أطفالٍ صغارٍ وحمقى لا نكاد نرضي واحداً حَتَّى يبكي آخر، ولا نكاد نسكت هٰذا حَتَّى يصرخ ثالث.... وهكذا... وكلهم يتذرعون الذريعة ذاتها: لا نريد أن نكرِّس الانقسام العربي العربي.

هل ينبع هٰذا السلوك حقًّا من الحرص على عدم تكريس الانقسام العربي؟

حَتَّى نعرف إن كان هٰذا السلوك نابعاً من الحرص أو عدمه دعونا نعد إلى الوراء كثيراً لا قليلاً، إلى نشأة الجامعة العربية، إلى احتلال فلسطين في عام ١٩٤٨م، وننظر في الوضع العربي من جهة الحكام والسلاطين لا من جهة الشعوب، ونتساءل:

ومتى لم يكن هناك انقسامٌ عربيٌّ واضح المعالم والتفاصيل؟

ومتى لم يكن هناك فريق من الحكام والسلاطين العرب يقف مع لكيان الصهيوني قلباً وقالباً، وهناك فريق رافض للكيان الصهيوني قلباً وقالباً؟ وبينهما فريق لعوب لا نعرف أين يقف؟

إنَّ الذي يقفون الآن في صف الكيان الصهيوني ومعه الولايات المتحدة الأمريكية هم أنفسهم الذين كانوا يقفون مع الولايات المتحدة وربيبها الكيان الصهيوني منذ نشأته، والذين يقفون ضد هٰذا الكيان اليوم هم أنفسهم الذين وقفوا ضد وجود هٰذا الكيان منذ النشأة وحَتَّى الآن. اللهم إلا من استثناءات قليلة بدلت موقفها بتبدل السلطة في هٰذا القطر أو ذاك من الفريقين.

هٰذا يعني أنَّ أنصار الصهيونية والولايات المتحدة هم أنفسهم من الحكام العرب وأسلافهم الذين ورثوا عنهم معاهدة الصداقة والأخوة بالدم مع الكيان الصهيوني، ولم يتغير شيءٌ في المعادلة. وهٰذا يعني أنَّ الانقسام العربي العربي قائم على قدمٍ وساقٍ منذ أكثر من ثلاثة أرباع القرن على الأقل. والسُّؤال الذي يجب طرحه الآن هو:

متى كان هؤلاء الأصدقاء للكيان الصهيوني أنفسهم حريصون على عدم الانقسام؟

ومتى لم يكن هؤلاء الذين يعزفون على هذه الأوتار هم أسباب الانقسام؟

ومتى لم يدفع هؤلاء الغالي والثمين قبل الرخيص حَتَّى لا يكون هناك أيُّ توافقٍ عربي؟ ألم يفتعل هؤلاء الزعماء، الذين يوصفون اليوم بالمعتدلين، الأزمات افتعالاً حَتَّى يعرقلوا أي تقارب عربي عربي؟

إنها دعوةٌ باطلةٌ يتشدق بها من لا يقيم للتَّوافق العربي أيَّ قَدْرٍ من القيمة أو الاحترام، والدليل على ذَلكَ أنَّنا لم نسمع مثل هٰذه النَّغمة من أيِّ دولةٍ عربيَّة تقف بصدقٍ مع دعم المقاومة، أو تدعو بصدق إلى إيقاف المجزرة، فيما كلُّ الذين تذرعوا بهٰذه الذريعة النكراء هم الذين شاركوا الكيان الصهيوني مشاركةً مباشرةً أو غير مباشرة في حصار الشَّعب الفلسطيني، وفي المجزرة التي ترتكب في غزة اليوم ومنذ نحو الشهر.

نحن نرحب بهٰذا الانقسام بل نتمنى تكريسه وتعزيزه لأنَّ كلَّ الاجتماعات التي عقدت تحت راية تعزيز التقارب العربي العربي خرجت بقرارات يبكي لسخفها الحجر، وهٰذه القمة شبه المصغرة التي عقدت اليوم في الدوحة يمكن أن تخرج بقرارات أكثر فاعليَّة لأنها جمعت فريقاً متجانساً في الموقف إلى حدٍّ كبير.

وأكبر شرف للقمَّة العربيَّة عبر تاريخها أنَّ قمَّة الدَّوحة اليوم هي أول قمَّة عربيَّة تدعو المقاومة الفلسطينيَّة لتكون طرفاً في القمة له صوته وكلمته...

ألا فنعم الانقسام الذي جعل المقاومة العربيَّة الفلسطينيَّة تشارك في القمة.

ونعم الانقسام الذي فصل بَيْنَ العرب من العرب وأعداء العرب من العرب.

الفصل الثاني والعشرون

تزايد المظاهرات وتزايد الصمت

للعمى ألوان كثيرة على الرَّغْمِ من أنَّ العمى يفقد التَّمييز بَيْنَ الألوان بل يفقد رؤيتها. ومن ألوان العمى العجيبة الغريبة في البنية والتركيبة هي أنَّ شوارع العالم كلِّهِ من أقصاه إلى أقصاه تغصُّ بالمتظاهرين المنددين بالمجزرة الصهيونية المستمرة في غزة، وعلى الرَّغْمِ من ذَلكَ لا يراها أحدٌ من أصحاب القرار في العالم!!

دخلت المجزرة الصهيونية أسبوعها الثالث من دون توقف عن القصف والتدمير والتقتيل حَتَّى وصفت بأنها مشروع إبادة مخططة لأهل غزَّة. وفي كلِّ يومٍ يزداد عدد الشهداء، ويزداد عدد الجرحى، فاقترب عدد الشهداء من التسعمئة، واقترب عدد الجرحى من أربعة آلاف.

ومع ازدياد عدد الشُّهداء وعدد الجرحى ومع ازدياد القتل والتَّدمير تزداد المظاهرات انتشاراً في العالم، وتزداد أعداد المتظاهرين، وتزداد مظاهر الغضب، وتزداد أنواع التعبير عن الغضب... رُبَّما يصحُّ القول الآن إنَّهُ بالكاد يكون هناك بلدٌ في العالم، أو مدينةٌ كبرى في العالم، ليس فيها مظاهرةٌ يوميَّةٌ أو شبهُ يوميَّةٍ، أو اعتصامٌ، للتَّنديد بالمجزرة الصهيونيَّة واستنكارها، ومطالبة القوى الحكومات وصنَّاع القرار بالتدخل لوقف المجزرة ومعقبة الكيان الصهيوني...

كان ذَلكَ كذَلكَ فماذا لو لم يكن هناك مظاهرات؟؟؟؟

أعني إذا كانت كل هٰذه المظاهرات التي تجوب شوارع العالم العربي والعالمي بصوت هادر وأعدادٍ كبيرةٍ منددة بالمجزرة الصهيونية لم تستطع أن تحرك الضمير الرسمي العربي ولا الدولي، ولم تحرك ساكناً في مؤامرة الصمت على الأقل، وفي السكوت المخزي على هٰذه المجزرة التي يمكن القول إنها غير مسبوقة منذ عشرات السنين... فما الذي يمكن أن يحرك المجتمع الدولي؟ وما الذي يمكن أن يجعل النظام الرسمي الدولي يقدم على خطوة جدية في الوقوف مع الحق؟

لا يمكننا إنكار فلسفة المصالح التي تدركها الأنظمة ولا تدركها الشُّعوب. نحن نعترف بذلك ونقر به. ولٰكنَّ قمة في وسط النفق المظلم سرٌّ لا بُدَّ أن ينكشف. إن فلسفة المصالح التي تحرك الأنظمة تقول إنَّ المستقبل القريب أو غير البعيد يعني أنَّ هٰذه الدول التي تقف مع إسرائيل ستدفع ثمناً غالياً وغالياً جداً، لأنَّ الشَّعب العربي لا بُدَّ أن يأتي يوم وينتفض على أنظمته الظلاميَّة هٰذه التي تضمن مصالح هٰذا الغرب وإسرائيل اليوم في آنٍ معاً. ومن ثمَّ فإن كل الضمانات التي تقدمها له هٰذه الأنظمة، منطقيًّا، ستذهب هباء، وسيدفعون الثَّمن.

أم هناك هناك دراسات ومخططات تتجاوز منطق العقل والتاريخ، تجعلهم واثقين في أنهم لن يستطيع العرب القيام بشيء حَتَّى ولو انتفضوا على أنظمتهم واستردوا منها السلطة ورسموا معا لم مستقبل الأمة ومصالحها؟

سؤال سيبقى محيراً، ولكننا لا نشكُّ في أنَّ الغرب بأنظمته المختلفة يرقص على إيقاع معزوفة واحدة. وأنَّ لدى هٰذا الغرب من المخططات للمنطقة ما تضيق أمامه السبل. لا ننكر، وندرك جيداً أنهم يعرفون الكثير الكثير عن أمتنا، رُبَّما أكثر مما نعرفه عن أنفسنا، ومن خلاله يخططون ويعلمون، ولذٰلك يتصرفون بوثوقية عمياء ورُبَّما عمياء عماءً غير محدود.

أقل ما يقال في ذٰلكَ الأنظمة التي زرعوها في المنطقة منذ الاستقلال قد مأسست الخيانة والفساد في بنية الدولة والسلطة على نحو يجعل أي انقلاب أو ثورة على هٰذه الأنظمة أمام خياراتٍ معقَّدةٍ، وأمام بنى حديديَّةٍ مقاومةٍ للتحديث والتَّطوير والدِّيمقراطيَّة وحَتَّى تداول السُّلطة تداولاً سلميًّا. وأظنَّ أنَّ في ذٰلكَ ذاته ما يحمل بذور فناء إسرائيل بسبب اشتعال المنطقة بفوضى غير قابلة للضبط، إذا ما وصلت الجماهير إلى مرحلة الصدام الحتمي مع هٰذه البنى التي رسختها الأنظمة العربيَّة الممانعة للتغيير.

إنَّ كثرة المظاهرات وعجزها عن تبديد الصمت العالمي والعربي أمر يضعني أمام مخاوف كثيرةٍ في حقيقة الأمر. مخاوف الفسطينيين أنفسهم فيما لو ارتكبت إسرائيل في المستقبل مجزرة أخرى ولم تخرج المظاهرات المتعاطفة معها، مخاوف من أن تحدث مثل هٰذه المجازر لأيِّ شعب آخر ولا تخرج المظاهرات الحاشدة للتضامن معه... أعان الله من يتعرَّض لمثل هٰذه المأساة ولا تخرج المظاهرات تضامناً معه... إنَّها على الأقل تؤنس المساكين في غمرة تعرضهم للذبح

والقتل... تجعلهم يقولون في أنفسهم: ثَمَّة من يتألم لألمنا... ثَمَّة من يرى أننا نتعرض لمجزرة ويحكي للآخرين ما حلَّ بنا...

ومع ذَلكَ كله، أتساءل: كيف سمحت الأنظمة العربيَّة بخروج هٰذه المظاهرات؟

في العالم غير العربي الأمر عادي ومألوف، ولٰكنَّهُ غير مالوف في العالم العربي عامة. ولا تبتعدوا كثيراً فالخليج العربي كله لم يشهد مظاهرة واحد على الإطلاق. ولٰكنَّ الأنظمة الأخرى كيف سمحت بذلك بعد عشرات السنين من منع التظاهر؟

رُبَّما خوفاً من نقمة المشاريع كما يرى بعضهم، ورُبَّما امتصاصاً لنقمة الشارع كما يرى بعضٌ آخر... ولٰكنَّهَا سرعات ما قعمت بدهاء عجيب.

ولٰكنَّ، لو كانت هٰذه المظاهرات ضد أنظمتها ذاتها فهل يا ترى ستسكت هٰذه الأنظمة؟ أم سيكون لها رد فعل آخر؟

لا تستعجلوا فكلُّ آتٍ قريب.

الفصل الثالث والعشرون

العرب والتفريط بالمقاومة

ما حدث في غزَّة منذ يوم السَّبت السابع والعشرون من كانون الأول وإلى اليوم، ولا ندري إلى متى، حدثٌ ليس عاديًّا أبداً بكلِّ المعايير والمقاييس ولذلك لا يجوز النَّظر إليه من زاويةٍ واحدةٍ.

نحن أمام مجزرةٍ مستمرةٍ من قوَّةٍ مدججةٍ بأكثر الأسلحة تطوراً ضد شعبٍ أعزل محاصرٍ حصاراً محكماً حَتَّى في لقمة العيش منذ أكثر من عام، ومحاصراً منذ عشرات السنين بالاحتلال. وهي مجزرة مستمرةٌ وليست حرباً، وليست مجزرة عاديَّة، أي إنَّها تعبيرٌ عن منتهى التَّمادي في الجبروت والعنجهيَّة لا يجد من يردعه.

لماذا يوجد من يردعه؟

لا يوجد ما يردعه لأننا اليوم أمام بشرية عمياء لا ترى الحقيقة ولا تريد أن ترى الحقيقة، وتصر على عكس الرؤية والفهم على الرَّغْمِ من وضوح الصورة وضوحاً يفقأ عين الجاحد ويسدُّ عين الشَّمس. فعلى الرَّغْمِ من كلِّ الوضوح في الوحشيَّة الصهيونية التي تمارسها في مجرتها ضدَّ شعب أعزل محاصرٍ يصر الإعلام على عدم عرض هٰذه الصور كلها وإبراز صورة الحجر الذي يقذفه الفلسطيني على أنَّه الطَّرف الوحيد في المعركة، وتصرُّ السياسة الغربيَّة على تحميل الطفل الفلسطيني الذي يقذف الحجر كلَّ المسؤولية عن عدم استقرار الأمن في المنطقة. ويتابع مجلس الأمن الدولي بكلِّ أنواع الحول في النَّظر هٰذه الطريقة في الفهم ويطالب بوقف العنف المتبادل بَيْنَ الفلسطينيين والصهاينة.

إذن من الناحية الأولى هناك إرادة دوليَّة عمياء على الأقل، ومشتركة في المجزرة بطريقةٍ أو بأخرى، بغرضٍ أساسيٍّ واحدٍ هو ضمان أمن الكيان الصهيوني في المنطقة على حساب دماء أبناء المنطقة وأقواتهم وأنفاسهم... يريدون أمن الكيان الصهيوني مهما كلَّف هٰذا الأمن من ثمنٍ، وهٰذا ما يفسر العمى الغربي في التعامل مع كلِّ ما ترتكبه الصهيونية من مجازر وتجاوزات... لأنَّ الغرب أوجد الكيان الصهيوني لضمان مصالحه في المنطقة العربية وعلى رأس هٰذه المصالح عدم تحقق الوحدة العربية، ومن ثمَّ عدم وجود أيِّ تقارب عربيٍّ عربيٍّ. وهٰذه الأمور باتت بحكم البداهات.

ولذٰلك فقد ارتبط بهٰذا الغرض غرضٌ آخر هو السَّعي لتصفية كلِّ مقاومةٍ أو ممانعةٍ للوجود الصهيوني في المنطقة، ومن ثَمَّ كل ممانعةٍ أو مناهضةٍ أو مقاومة للمصالح الغربية في هٰذه المنطقة. ومنذ انهيار الاتحاد السوفيتي تفرغت الولايات المتحدة والغرب عامَّة من أجل القضاء على بؤر المعارضة لمصالحها أو المهددة لها

وقرَّر الغرب في أوَّل مؤتمرٍ للنَّاتو بعد انهيار الاتحاد السوفيتي أنَّ العدو التالي هو العالم العربيُّ. ومنذ ذَلكَ الحين انتقلت كلُّ المخططات والمشاريع والسياسة الغربية وخاصَّةً الأمريكية إلى المنطقة العربية وخرجت ببدعة محاربة الإرهاب والضربة الاستباقيَّة ووضعت الحركات المقاومة والدُّول الممانعة للسيطرة الأمريكية على اللائحة السوداء فسميت دول إرهابية ومنظمات إرهابيَّة وجعلت القضاء على هٰذه الحركات والدول مهمة دوليَّة. ولذَلك جاءت المجزرة الصهيونيَّة في غزة جزءاً من مشروع القضاء على الحركات والمنظمات المناهضة للسياسة الأمريكية في المنطقة. ولذَلك وقفت الولايات المتحدة ومعها الغرب موقف المؤيِّد للكيان الصهيوني في مجزرته الوحشيَّة.

المصيبة الأكبر من ذَلكَ كلِّه هي تآمر الضَّحية على ذاتها. أن يتآمر الغرب على أمتنا فهذا أمرٌ متوقَّعٌ ومرتقبٌ ومن الخطأ توقُّع ما هو خلاف ذَلكَ، ولٰكن أن نتآمر على أنفسنا، أن تتآمر الضَّحية على ذاتها فهٰذه مصيبةٌ عجيبةٌ غريبةٌ.

فريقٌ من الفلسطينيين، هم ما يسمَّى السلطة الفلسطينية شريكٌ ضالعٌ في المجزرة من أجل الاستفراد في السلطة والقضاء على صوت المقاومة التي هي الممثل الشَّرعي للشعب الفلسطيني بحكم الانتخابات الأخيرة. وقد شاهدنا على شاشات التلفزة المختلفة كيف أنَّ رجال السلطة الفلسطينية بدل أن يدينوا المجزرة ويسعوا إلى ردع العدوان راحوا يكيلون الاتهامات لحماس ويحملوها مسؤوليَّة المجزرة متناغمين في ذَلكَ مع الإعلام الصهيوني والأمريكي.

المصيبة الثانية في هٰذا الجانب هي العرب العملاء الذين وقفوا موقف المؤازر للكيان الصهيوني في ارتكاب مجزرته، بل لقد كشفت الصحافة الصهيونية ذاتها أن بعض الدول العربية هي التي ناشدتها التَّخلص من حماس وفوضتها في ذَلكَ. وهٰذا

الموقف المتخاذل هو أخطر ما في الأمر على الإطلاق لأنَّهُ يعزِّز الانقسام العربي العربي، ويفقد الجماهير العربيَّة ثقتها في حكوماتها، وفي المستقبل. ويقول بالحرف الواحد إنَّ الفلسطينيين شعبٌ من طينةٍ وطبيعةٍ مختلفةٍ عن طينة شعوب الدول العربية الأخرى وطبيعتها. يريد الحكامُ الخونة أن يشعرونا أنَّ دفاع العرب عن فلسطين يشبه دفاع العرب عن نيكاراجوا أو بولفيا.

المأساة هنا أنَّ الحكام العرب الذين يتعاملون بهٰذه الطريقة مع القضية الفلسطينية سيقومون بالقضاء على عوامل القوة والرصيد الحقيقي الذي يمكن الاعتماد عليه عند الحاجة، لأنَّ حركات المقاومة والفكر المقاوم للهيمنة الصهيونية والغربيَّة هو الضامن لمصالح الأمَّة، والتَّفريط بالحركات المقاومة تحت أيِّ ذريعةٍ هو التَّفريط بآخر ما بقي من الكرامة والعزَّة، وأيُّ أمَّة هي التي تفرط بكلِّ كرامتها لصالح أعدائها؟!

الفصل الرابع والعشرون

ما الذي ينتظره العرب؟

ما أكثر ما يجب أن يقال. وما أقلَّ ما يجوز السُّكوت عنه!! ولٰكن هيهات هيهات أن يكفي الكلام، وهيهات هيهات أن يجدي الكلام حَتَّى وإن قيل الكلام كلُّهُ!!

في بداية الانتفاضة تلعثمت الكلمات أمام الصَّمت العربي المخزي على المجازر الإسرائيليَّة، فكانت انتفاضات الجماهير العربيَّة على امتداد الشَّارع العربيِّ تعبيراً عن الغضب على هٰذا الصمت لا تضامناً مع الشَّعب الفلسطينيِّ وحسب، ولٰكن سرعان ما قُمِعَتْ هٰذه الانتفاضات بدهاء لم تستطعه إسرائيل مع الشَّعب الفلسطيني، ولم يخطر على بال العفاريت.

وانطفأت جمرة الجماهير العربية وتحوَّلت إلى رمادٍ، وظلَّت رماداً إن تركته كما هو لم يجد شيئاً، وإن نفخت أعميت عينيك.

والمؤسف هنا أنَّ ما تلا قمع الشَّارع العربي من قتل للفلسطينيين، ومحاولات الممارسات الإذلاليَّة للشَّعب العربيِّ والأمَّة العربيَّة.. كان أكثر بعشرات بل بمئات الأضعاف مما أثارهم في بداية الانتفاضة، والأكثر مأسويةً من ذَلكَ كلِّه هو أنَّ من يفترض فيهم أنَّهم أعداء العرب هم الذين يثورون وينتفضون تضامناً مع الفلسطينيين الذين يسحقون سحقاً لا يعرف شيئاً من الإنسانيَّة، ولا يجدون من أهلهم أيَّ يد مساعدةس.

الأكثر خطورةً ومأساويَّةً من ذَلكَ كلِّهِ هو أنَّ العرب لم يكتفوا بالصمت المخزي الذي يندى له جبين الإنسانيَّة كلَّها خجلاً، بل زادوا على ذَلكَ بممارسة الضغوط على الشَّعب الفلسطيني لا ليسكت وحسب بل ليخنع ويقبل بالذُّل ويقبل انتهاك الشرف والكرامة والعرض... ويفرضون عليه بعد ذَلكَ أن يبتسم للجندي الصهيوني الذي يطلق عليه الرصاص ويهدم بيته بالدبابة... وعلى هٰذا الفلسطيني أن يسترجع روحه بعد موته لحظة ليشكر القاتل ويقبل يده..!!

هل يصدق ذَلكَ أحد؟

هل في تاريخ البشرية منذ مهدها مثل هؤلاء العرب؟

وهل ستعرف البشريَّة بعد العرب مثل هؤلاء العرب؟

لا أريد أن أستحضر التَّاريخ، ولا أريد أن أستشرف المستقبل، فالحاضر وحده يكفي البشرية كلَّها عظةً، ولٰكن لماذا لم يتعظ العرب؟ ولماذا لا يتعظون؟

نظريَّات كثيرةٌ تحاول تفسير ذَلكَ، ولٰكنَّ النَّظريات كلها تتهاوى أمام هول الواقع ومأساويته، ولا توجد نظريةٌ واحدةٌ تستطيع تسويغ هٰذا الصَّمت العربيِّ الذي

تقصر كلَّ الألفاظ عن وصفه كم هو مخجلٌ وخانعٌ، وتعجز لغات العالم عن إيجاد المفردات الكافية أو المناسبة لوصف هٰذا الصَّمت. فكيف لو كان الأمر من أجل وصف ما يقوم به العرب فعلاً؟ أظن أنَّ الأفكار المجرَّدة ذاتها ستبكي أمام عجزها عن تصور حقيقة ما يحدث.

كثيراً ما استغاث الفلسطينيون بالعرب، وبالعالم، وما أكثر ما صرخت النسوة ودموع الأسى والألم في أعينهن وحشرجة القهر في صدورهن وأصواتهن: وامعتصماه، وواعرباه، ووإسلاماه... ولٰكن كنت أسمعت لو ناديت حيًّا، ولٰكن لا حياة لمن تنادي. ولذلك تغيَّرت لغة الخطاب، ولغة الرجاء، ولغة الاستغاثة، وتحوَّلت من رجاء المساعدة إلى رجاء عدم التدخل.

لَقَد ثبت للفلسطينيين أنَّ معاناتهم من تدخُّل العرب في شؤون انتفاضتهم أشدُّ إيلاماً من القتل الصهيوني الذي يحاصرهم بكلِّ الأسلحة ليل نهار. ولذلك صارت غاية أملهم أن يتعلم العرب فنَّ الصَّمت، أو يجربوا الصَّمت مرَّةً واحدةً، وسيعرف العالم أنَّ صمت عرب اليوم أبلغ من كلِّ الأسلحة. ولكنَّهُم للأسف لا يعرفون معنى الصَّمت، لأنَّهُم يصمتون عندما يكون الصَّمت إذلالاً وخنوعاً لا عندما يكون موقفاً.

ما الذي ينتظره العرب أكثر من ذلك؟

وما الذي يمكن أن يكون أشدَّ من ذٰلكَ قهراً وإذلالاً وتحقيراً؟

لم يبق اقتراحٌ إلا طرح، ولم تبق فكرةٌ إلا قيلت، ولم ينفَّذْ إلا عكس الاقتراحات والأفكار الَّتي تنفع العرب. حَتَّى الصمت عندما يكون مجدياً فإنَّ الحكام العرب يبخلون به علينا. ولكنَّنا لا نستطيع إلا أن نتكلم، ولا نستطيع إلا

أن نقترح، لأنَّ النار تكوينا نحن ولا تكويهم، والقهر يغتصبنا نحن ولا يغتصبهم، والألم يعتصرنا نحن ولا يعتصرهم.

نحن الآن لا نريد أيَّ دعم للانتفاضة، ولا للشَّعب الفلسطيني، كلُّ ما نريده أن نصمت ونترك الفلسطينيين يتصرَّفون، والأسلحة الَّتي يجب أن تُقَدَّمَ لهم لم نعد نريد أن تُقدَّم لهم، ولٰكنينبغي أن لا نطلق رصاصها عليهم.

يجب أن نزرع في قلوبنا من الرحمة بعض ما قلوب خصوم الأمة لا أكثر، فقد أثبت الواقع أن من نفترض أنَّهم خصومنا أكثر رحمة بالفلسطينيين منا، فهل سنعجز أيضاً عن أن نعامل الفلسطينيين وكأننا أوربيون أو يابانيون أو حَتَّى أمريكيون... أو كما تعاملهم هذه الأقوام؟

من كتب المؤلف المنشورة

- أعاجيب السياسة الأمريكية؛ مقالات سياسية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٧م.
- آفاق التغير الاجتماعي والقيمي؛ الثورة التقانية والتغير القيمي . الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٥م.
- الأمم المتحدة بين الاستقلال و الاستقالة و الترميم . مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٩٩٣م.
- أَميرة النَّار والبحار (شعر) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٧م.
- أَنا صدى الليل (شعر) . دار الأَصالة للطباعة – دمشق – ١٩٩٥م.
- أنا لست عذري الهوى (شعر) . دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٩م.
- أنا والزمان خصيمان . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٥م.
- أنا وعيناك صديقان (شعر) دار الأصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠١م.
- أُنشودة الأَحزان (شعر) – دار الأصالة للطباعة – دمشق . ١٩٩٦م.
- انهيار أسطورة السلام؛ مصير السلام العربي الإسرائيلي . ط١: مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٩٩٦م. ط٢: دار الفكر الفلسفي . دمشق . الطبعة الثانية ٢٠٠١م.
- انهيار الشعر الحر – دار الثقافة – دمشق (ط١) ١٩٩٤م. ـ دار الفكر الفلسفي . دمشق – (ط٢) ٢٠٠٣م.

- انهيار دعاوى الحداثة ؛ الحداثة ضرورة تاريخيَّة لا خيار سياسي – دار الثقافة – دمشق – ١٩٩٥م.
- انهيار مزاعم العولمة؛ قراءة في تواصل الحضارات وصراعها . اتحاد الكتاب العرب . دمشق . ٢٠٠٠م.
- بشرية عمياء عوجاء؛ مقالات سياسية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٩م.
- بديع الكسم . وزارة الثقافة . دمشق – ١٩٩٤م.
- تفجيرات أيلول وصراع الحضارات . دار إنانا . دمشق . ٢٠٠٣م.
- تمهيد في علم الجمال . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٧م.
- الحداثة بين العقلانية واللاعقلانية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٩م.
- الدخيل على المصلحة (قصص) – ن . م – دمشق – ١٩٩٣م.
- دفاع عن الفلسفة ؛ الفلسفة ثرثرة أَم أُمُّ العلوم ؟ – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- شظايا على الجداران (خواطر) دار الأصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠٧م.
- العرب؛ جثة تنهشها الكلاب ؛ مقالات سياسية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٩م.
- عفيف البهنسي والجمالية العربية . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠٨م.
- عالم مجنون؛ المضحك المبكي في السياسة الأمريكية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٨م.
- علم الجمال المعلوماتي: نحو نظريَّة جديدة . دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.

- عـواد مـن دون عـود (قصـص) – دار الأصـالة للطباعـة – دمشـق – ٢٠٠٧م.
- غاوي بطالة (قصص قصيرة) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٦م.
- فلسـفة الفـن و الجمـال عنـد ابـن خلـدون – دار طـلاس – دمشـق – ١٩٩٣م.
- فلسفة الفن والجمال عند التوحيدي . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠٦م.
- فلسفة الأخلاق عند الجاحظ . اتحاد الكتاب العرب . دمشق . ٢٠٠٥م.
- في انتظار حمقاء (قصص قصيرة) . دار الأًصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠٥م.
- فيلا وعلبة حلاوة (قصص قصيرة جداً) – دار الأصالة للطباعة – دمشق – ٢٠٠٧م.
- قراءات في فكر بديع الكسم . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٨م.
- قراءات في فكر عادل العوا . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠١م.
- قضايا الفكر العربي المعاصر . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٧م.
- كيف ستواجه أمريكا العالم؟ . دار السلام للطباعة . دمشق . ١٩٩٢م.
- لا تعشقيني (شـعر) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- لبنـان والمشروع الأمريكي؛ قراءة في الأزمة اللبنانية وتداعياتها . دار إنانا . دمشق . ٢٠٠٥م.
- لبنان بَيْنَ حربين؛ الأزمة اللبنانية بَيْنَ الداخل والخارج . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٧م.
- مختارات من دارسي التراث العربي . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠٧م.
- المدخل إلى عصر النهضة العربية . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٦م.
- المذاهب الاقتصادية الكبرى . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٨م.

- المذاهب الجمالية . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٦م.
- مكيافيليَّة ونيتشويَّة تربوية: نحو سلوك تربوي عربي جديد . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٨م.
- من رسائل أبي حيان التوحيدي . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠١م.
- من يسمم الهواء؛ ظاهرة السرقة في عالمي الفكر والأدب . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٥م.
- الموت من دون تعليق (قصص قصيرة جداً) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- النظام الاقتصادي العالمي الجديد . مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٩٩٣م .
- النظام الاقتصادي العربي؛ واقع ومشكلات ومقترحات . دار إنانا . دمشق . ٢٠٠٥م.
- نهاية الفلسفة . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٩م.
- هؤلاء أَساتذتي : من رواد الفكر العربي المعاصر في سوريا – دار الثقافة – دمشق – ١٩٩٤م.
- هؤلاء أَساتذتي : من رواد الفكر العربي المعاصر في سوريا (ط٢) – دار الفكر الفلسفي – دمشق – ٢٠٠٣م.
- همس الهوى (خواطر) دار الأصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠٨م.

فهرس

- **الإهداء** ٥
- **مقدمة الكتاب** ٧
- **الفصل الأول:** أنا ضد حماس ولٰكنَّ!!..... ١٣
- **الفصل الثاني:** الواقعية واللاواقعية..... ١٩
- **الفصل الثالث:** مجزرة غزة والصمت العالمي..... ٢٣
- **الفصل الرابع:** ومجلس الأمن أعمى..... ٢٩
- **الفصل الخامس:** في قلب المأساة نكتة..... ٣٥
- **الفصل السادس:** حماس سبب المجزرة..... ٤١
- **الفصل السابع:** هل بددت المظاهرات الصمت؟..... ٤٧
- **الفصل الثامن:** ومن الإفتاء ما قتل..... ٥٣
- **الفصل التاسع:** التوابيت جاهزة فلا تقلقوا..... ٥٧
- **الفصل العاشر:** عاجل إلى حماس والمقاومة..... ٦٣
- **الفصل الحادي عشر:** أسطورة العصر حسني مبارك ٦٧
- **الفصل الثاني عشر:** مصر تحاصر غزة أكثر من إسرائيل..... ٧١
- **الفصل الثالث عشر:** أولاد بشر وأولاد كلاب..... ٧٧
- **الفصل الرابع عشر:** أسطورة فتح معبر رفح..... ٨١
- **الفصل الخامس عشر:** مبارك يعقد قمة..... ٨٧

■ **الفصل السادس عشر**: حسني باراك يشن هجومه..... ٩٣
■ **الفصل السابع عشر**: مصر شريك إسرائيل في العدوان ٩٧
■ **الفصل الثامن عشر**: العدوان على غزة بأوامر عربية..... ١٠٧
■ **الفصل التاسع عشر**: عباس يغزو غزة بالجيش الصهيوني..... ١١٥
■ **الفصل العشرون**: لماذا غاب عباس عن القمة؟ ١٢١
■ **الفصل الحادي والعشرون**: أوهام تكريس الانقسام..... ١٢٥
■ **الفصل الثاني والعشرون**: تزايد المظاهرات وتزايد الصمت..... ١٢٩
■ **الفصل الثالث والعشرون**: العرب والتفريط بالمقاومة..... ١٣٣
■ **الفصل الرابع والعشرون**: ما الذي ينتظره العرب أكثر؟!..... ١٣٧
■ **صدر للمُؤَلف**..... ١٤١
■ **المحتويات**..... ١٤٥

دار الفكر الفلسفي
دمشق 2009م

عزت السيد أحمد

Blind And Crooked Humanity

POLITIACL PAPERS

BY

Ph.D. EZZAT AS-SAYED AHMAD

Published By

Dar Al- Feker Alphalsphy

Damascus.2009

Emil: mulhamezzat@gmail.com

Blind And Crooked Humanity

POLITIACL PAPERS

BY

Ph.D. EZZAT AS-SAYED AHMAD

الدكتور عزت السيد أحمد
بشرية عمياء عوجاء
مقالات سياسية
منشورات
دار الفكر الفلسفي
دمشق 2009
الحقوق جميعها محفوظة
mulhamezzat
@gmail.com

Blind And Crooked
Humanity
Ezzat Assayed Ahmad

للأعرف
إلى من أخط إهدائي
وعلى الأرض مسفوحة دمائي
إلى أمتي التي بيدها تذبحني
أم إلى البشرية العمياء